حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

عنـوان الكتـاب: حتـــى يأتيـــك اليقـــين
الموضـــــوع: روايـــــــــــــة
التـأليـــــف: رشـــــا العمـــــري
مراجعة وإخراج فنيّ: عمـــرو وســـالم ســـواح
غـــــلاف: باســـــم حمـــــدي
رقـــم الإيـــداع: 2019/ 15009
التـرقيم الـدولي: 978-977-6639-54-6
الناشـــــر: دار تويتـــة للنشـــر والتوزيـــع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

حتى يأتيك اليقين

رواية

رشا العمري

إهداء

إلى من سكن بين أضلعي واحتل وطني بلا مقاومة

إليكَ وحدك

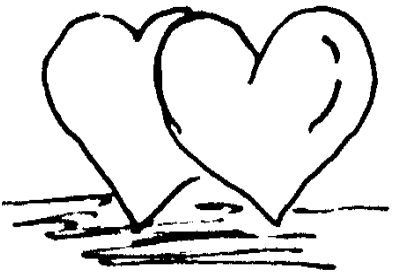

قد تحيا ألف عامٍ دون أن تترك أثرًا وكأنك عشت عامًا واحدًا. وقد تحيا عامًا واحدًا تترك فيه أثرًا يكفي لألف عامٍ. فكن ذا أثرٍ.

رشا العمري

بداية خريف في عام ما .

لماذا نستيقظ مبكرًا؟ لماذا لا تبدأ الحياة عندما نستيقظ من النوم؟ ونستيقظ عندما نكتفي من نومنا؟ وإن كنت في هذه الحالة لن أستقيظ أبدًا.

هذه المرة الثالثة لرنين المنبه. أشعر بالكسل يتخلل كل جسدي، هذا أمر طبيعي؛ فقد انتهيت من مشروع تخرجي أخيرًا بعد الفجر بقليل.

سألقي بالكسل بعيدًا، فاليوم هو آخر يوم لتقديم مشروع التخرج، ولا بد أن أسلمه، وإلا ضاع المستقبل هباءً، وكأن مكتب الوزير فارغٌ ينتظرني!!

هيا. هيا يا كارين، ارتدي ما ترينه أمامك وأسرعي. يكفيكِ كسلًا اليوم.

* * *

ذهبتُ للجامعة، وما إن وصلت حتى وجدت جميع أصدقائي في مكاننا المعتاد. ألقيت التحية عليهم وجلست متسائلة:

- لمَ لمْ تصعدوا لتسليم المشروع؟

فقالت "هنا" ساخرة:

- لم يأتِ الدكتور بعد. يبدو أنه قد نَسِيَ أن يضبط منبهه؟

ردت "حياة" باستهزاءٍ:

- نحن نستيقظ من السادسة حتى لا نتأخر، وهم يأتون وقتما يريدون.

ضحكتُ قائلة:

- انتهى الأمر، وبهذا المشروع قد قطع ما بيننا وبينهم؛ وتنتهي علاقتنا.

اقتربت مني "هنا" وجذبتني بعيدًا عن الجميع هامسة:

- لقد رأيت أحمد أمس صدفة في الطريق، وسأل عنكِ.

- أرجوكِ يا "هنا"، لا تتحدثي مرة ثانية عنه أمامي، لم يعد يهمني أمره في شيء. انتهى ما بيننا.

- لكنه يريد أن يتحدث معكِ!!

- ألم يكفِه ما فعله. ماذا يريد؟ لو رأيته سأقتله هذه المرة.

اقتحمت "سما" حوارنا:

- أريد أن أعرف: عمَّ تتهامسان طَوال الوقت؟

ردت "هنا":

- لا شيء. مجرد كلام بنات.

فعقدت "سما" حاجبيها:

- نعم!! ألست بنتًا أنا؟؟!!

- من خدعك يا "سما"، وقال لكِ هذا؟!!

قلتها وأنا أضحك وأسير نحوهم، وما إن اقتربت حتى رأوا الدكتور قادمًا فأسرعوا، كلٌّ منهم يلملم أوراقه يتوجهون نحو المدرج.

* * *

ودعت أصدقائي ورحلت متجهة للبيت، فلم يكن لدي رغبة في قضاء باقي اليوم معهم؛ كنت أشعر برغبة ملِحَّة في الاسترخاء وعدم التفكير في أي شيء، فقط فراغ يحيط بكل شيء حولي، قررت السير إلى لبيت بالرغم من أن المسافة طويلة؛ ولكنني كنت أريد أن ألقي بكل ما بداخلي خلفي وأنا أسير، لم تكن الجامعة بالنسبة لي مجرد أربعة أعوام، كأنني عشت بها مائة عام. تعلمت ما لم أتعلمه قط في حياتي، ورأيت فيها الكثير، كنت أود أن أمحو كل هذا من حياتي بكل ما فيه من ألم، ولكن هناك أشياء لا يمكنك التخلص منها مهما فعلت.

وجدت أحمد يقف أمامي وكأنه ينتظرني؛ كعادته متأنق وسيم يلفت نظر كل من يمر بجواره.

أكملت طريقي وكأنني لم أره، بدت ملامحي هادئة؛ وإن كان يجتاحني بركان عاصف يمكن أن يشعله نارًا، وما إن مررت بجواره حتى جذبني من يدي قائلًا:

= ألا ترينني؟!

- لا. لا أراك، ولا أريد أن أراك، اترك يدي.

= كارين، أنتِ تظلمينني بطريقتك هذه، استمعي لي.

- لا أريد أن أستمع لشيء؛ فكل شيء انتهى بالنسبة لي.

= لنجلس قليلا نتحدث.

- أرجوك أحمد، لا تزد الأمور حدة؛ فلا كلام عندي لك.

= ولكن. أنا أحبك.

- وأنا لا أحبك.

- أنتِ تكذبين. كل شيء بكِ يقول إنكِ تحبينني، يدك التي بين يديَّ تفصح لي عما بداخلك.

تذكرت كارين أنها تركت يديها لتهدأ بين يديه كسابق عهدهما، فجذبتها بقوة وخطت بعيدة عنه. نظر لها أحمد طويلًا:

- لا تعاندي نفسك أكثر من هذا، أنتِ لا تحبينني صدقًا؛ لأنكِ تعشقينني.

فضحكت منه ساخرة:

- كنتَ أحمد... كنت أعشقك فيما مضى، ومنحتك الحياة بما فيها، وماذا كان رد فعلك أنت؟! اكتشفت أنك تعشق غيري ألف فتاة، لك في كل يوم قصة عشق جديدة. ارحل بعيدًا عني، لا أريد أن أراك مرة أخرى.

- كارين، لن أنكر ما تقولين، ولكن اسمعي مني أولًا.

- بالطبع لا تستطيع أن تنكر بعد كل هذه الصور التي تم إرسالها إليّ.

- لكنهن مجرد نزوة عابرة -كما قلتِ- لم تدم أكثر من يوم؛ لكن أنتِ باقية في قلبي إلى الأبد.

- بهذه البساطة. شكرًا على هذه المجاملة اللطيفة. هل يمكن أن أنصرف الآن؟

- لا، لن ترحلي قبل أن تعديني بأن كل شيء سيعود كما كان.

- آه، تقصد أنك تريد أن تستغلني كما كنت تريد أن تسلب مشاعري، تستغل جسدي لنزواتك؛ تريد فقط متعتك الخاصة. أهذا ما تريده ولكن تخبرني بلباقة؟!!

لا أحمد، انتهت كارين الساذجة التي تمنح كل شيء بلا مقابل. فقط لوجودك إلى جوارها.

- لا أريد شيئًا منك، دعي الأيام تثبت لكِ أنني فقط أريدك أنتِ. أريد وجودك في حياتي.

- أنت بالنسبة لي حياة انتهت، هل يمكنك أن تعيد الموتى؟!

قلت جملتي هذه ورحلت تاركة كل شيء خلفي،الماضي بكل ما فيه.

أوقفت أول سيارة أجرة ظهرت أمامي ورحلت، لم أنظر للخلف، ليس خوفا من ضعفي، ولكن لأنني لا أصدق شيئًا مما قال.

عامان قضيناهما معًا منذ أن وقعت عيناي عليه أول مرة في فناء الجامعة، وقعت في حبه، واحتل قلبي، لم أتردد لحظة في أن أقترب منه وأتحدث معه؛ فلم أكن يومًا تلك الفتاة الخجول التي تخشى أن تفصح عما بداخلها، فما كان يخطر ببالي كنت أفعله دون تردد.

عامان كاملان عشناهما معًا. أتاح رحيل أبي المفاجئ عن الحياة بعد مرضه فرصة كبيرة لزياراته لي. لم يكن لي أحد في الدنيا سواه؛ منحته كل شيء ومنحني الحياة، ولكن لم أكن أعلم أن هذه الحياة ستنتهي بقتلي بسكينٍ باردٍ.

* * *

ما إن دخلت البيت حتى ألقيت حقيبتي على الطاولة، وتحررت من قيود بعض ملابسي، جلست على الأريكة أنظر لهذا البيت الواسع الذي يصيح كل جزء فيه بالوحدة والفراغ. بالرغم من أنني أسكنه، إلا أنني كنت أشعر فيه بأنه بيت للموتى، هنا فقدت أمي وأخي إثر نيران اشتعلت في كل شيء بالمنزل، هنا فقدت أبي بعد مرضٍ لعينٍ كان يأكل في جسده، حتى رحل عن الحياة وتركني وحيدة. لم يبقَ لي سوى تلك الجدران التي تفوح منها رائحة الموت.

حتى أحمد الذي آمنت به وتخيلته حياة لم يكن سوى موت من نوعٍ آخر بالنسبة لي.

أغمضت عينيّ وتركت لهما العِنان لأذهب إلى عالمٍ آخر، عالم من الأحلام.

فجأة أصبح كل شيء بلون السواد، لا فرق بين لونين؛ فكل الألوان سوداء، لم أعد أرى شيئًا، حتى لمحت من بعيدٍ طيف ضوء وكأنه شمعة خافتة؛ اتجهت نحوها وأنا أتحسس خطواتي برفق، حتى شعرت بدرجات سلم تحت قدمي. من أين أتى هذا السلم؟ عشت عمري كله هنا ولم يكن في بيتنا سلم أبدًا!!

نزلت ببطءٍ وعيناي مثبتة على ضوء الشمعة، ولكن الغريب أن السلم لا ينتهي. وكلما شعرت أنني اقتربت من الشمعة، أجدها وكأنها تبتعد أكثر فأكثر، حتى تملكني التعب وشعرت أنه لا نهاية لهذه الدرجات التي تأخذني لأسفل. وقفت حائرة هل أكمل أم أعود إلى حيثما كنت؟

لم تدم حيرتي كثيرًا لأسمع من يناديني من أسفل بصوتٍ واهنٍ قائلًا: "ساعديني. ساعديني".

كاد قلبي يتوقف من الخوف، وشعرت أنني بالكاد أتنفس بمشقة، كنت أختنق وكأن هناك من يكتم أنفاسي، حتى أوشكت على السقوط؛ فقد فقدت كل قدرتي على استيعاب أي شيء حولي. وبالفعل ما إن سقطت حتى ارتطمت رأسي بالطاولة التي أمام الأريكة، لأستيقظ بأنفاس لاهثة. حقًّا كدت أن أموت... يا ربي، حتى الأحلام تقتلني؟!

نهضت أتحسس رأسي. لم يصبها شيء، فقط ألم بسيط. شعرت أنني بحاجة إلى فنجان من القهوة.

وضعت القهوة على نيران هادئة وأشعلت سيجارة. أخذت نفسًا عميقًا وألقيت بدخانها بعيدًا لأرى وجه أحمد في دخان سيجارتي. هكذا علمني أحمد، أنني يمكن أن أرى ما أريد في دخان سيجارتي.

تذكرت أول سيجارة أشعلها لي وطلب مني أن أراقب دخانها الكثيف فوجدته ممتلئًا بالقلوب.

"نحن نرى فقط ما نفتقده"

ماذا كارين؟؟!! هل ما زلتِ تحبين أحمد بعد كل ما رأيتِهِ؟ صوره عاريًا في أحضان أخريات هل كان يردد عليهن نفس الكلمات؟ هل كان يعشقهن جميعًا مثلما كان يعشقني؟ هل كان يعشقني أساسًا؟

استيقظي من أوهامك؟ اهتمي بنفسك فقط؛ فلن يبكي أحد عليكِ، ولن يفيدك أحد، نفسك وفقط.

انظري لحالك، وخططي لمستقبلك قبل أن يضيع منك الوقت في الندم.

لقد تجاوزتِ العشرين، وإن لم تحددي ما ستفعلين، سيضيع منك العمر بلا فائدة.

أنهيتِ دراستك. فلتبحثي عن عملٍ تنجحين فيه، وتثبتين ذاتك.

لا بد أن تنجحي في حياتك، لا تسمحي لأحد أن يدمرك.

لقد كان هذا الحلم ليوقظك من غفلتك؛ فنفسك تناديكِ أن تساعديها وإلا ستسقطين.

* * *

أن تكون وحيدًا، فهذا لا يعني أنك ضعيف، بل يعني أنه حان الوقت لتخلق عالمك الخاص بك.

شمس يوم جديد

أعشق فصل الخريف؛ بكل ما فيه من رياحٍ وأوراق شجر. أشعر أنه يشبهني كثيرًا، أو أنا من أشبهه.

خرجت في الصباح، فالشمس غائمة بعض الشيء، والجو كذلك ملبَّد بالغيوم وإن كانت لم تمطر، لكنّ هناك هدوءًا نسبيًّا في كل شيء.

جلست على أرجوحتي في حديقتي الصغيرة، وتركت العنان لشعري يموج مع هزات الأرجوحة، أقترب من السماء حتى أشعر أنها ملكي، ولكن سرعان ما أعود مرة أخرى للأرض حتى أتذكر أني هنا. وحدي.

لا أفكر في شيء. لا أستطيع حتى أن أعرف ما هي خطوتي القادمة، فضحكت بصوتٍ مسموعٍ وكأنني جننت. أنا أعيش في مرحلة الشَّتات؛ حمدًا لله أن حديقتي خلف المنزل متوارية عن أنظار من حولنا، فالبيوت جميعها هنا لا تتكون إلا من طابق أو اثنين، وكل بيت تحيط به حديقة صغيرة، لم يكن يومًا لنا علاقة بجيراننا؛ فلا أحد يتدخل في شؤون الآخرين هنا،حتى يوم الحادث الذي حدث في بيتنا، لم يحاول أحد أن يتدخل إلا قليل منهم عرضوا المساعدة بشكل ودي ليس إلا. هل الوحدة نعمة أم نقمة؟

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال سمعت طرْقات على باب البيت، من سيأتي باكرًا هكذا؟! أنا لا أنتظر أحدًا.

توجهت مسرعة من ممر الحديقة إلى الباب الأمامي. وجدت رجلًا يبدو كعامل بريد يحمل معه حفنة أوراق، فنظرت إليه باندهاش قائلة:

- بمَ يمكنني مساعدتك؟

فرد بهدوء وهو ينظر إلى ظرفٍ بيديه:

- هذا الظرف للآنسة كارين مؤمن.

- أنا كارين.

- من فضلك وقعي بالتسلُّم هنا.

- ممّن هذه الرسالة؟!

هز رأسه نافيًا معرفته إجابة سؤالي، ورحل.

رسالة!! هل ما زال هناك من يرسل رسائل؟! ألم يسمعوا عن الإيميل؟!

فتحت الرسالة. بعد الديباجة والتحيات: هذه رسالة من شركة تمنح الخريجين الجدد فترة تدريب لديها.

ألقيت بها على الطاولة، وذهبت لأعد فنجان القهوة الثاني لهذا الصباح؛ فالقهوة بالنسبة لي كالهواء، إن غابت عني شعرت باختناق.

رن هاتفي، بالتأكيد إحدى صديقاتي.

- أهلًا "هنا"، كيف حالك؟

- أنا بخير. سنخرج اليوم؛ أحمد دعانا إلى حفلة صغيرة عنده بالمنزل، ويريدك أن تأتي، ولكنه أخبرني أنك حظرتِ مكالماته، فطلب مني دعوتك.

- أخبرك أنني حظرت مكالماته يا "هنا"، وهذا يعني أنني لا أريد سماع صوته، هل سأقبل دعوته؟!

- يا كارين، أحمد اعتذر لكِ أمامنا جميعًا، إنه يحبك فعلًا، ويريدك أن تسامحيه.

- لا يا "هنا". أحمد لا يقبل على كرامته أن ترفضه فتاة ليس إلا. أنْهي هذا الموضوع، ولا تتحدثي معي فيه ثانيةً.

- حاضر. لكن هل ستأتين؟

- أنتِ مجنونة فعلًا. اختفي من أمامي يا "هنا". القهوة على النار.

- لكن أنا لست أمامك، أنا في الهاتف.

- أغلقي الخط يا "هنا" قبل أن أقتلك...مجنونة.

بعد أن سكبت القهوة في الفنجان رن هاتفي مرة أخرى، ولكنها هذه المرة "حياة":

- أهلًا "حياة". لن أذهب لحفل أحمد، أهناك شيء آخر؟

- من أخبرك بهذه السرعة؟! لقد أغلق أحمد معي الخط منذ دقيقة فقط.

- لا تحاولي. الأمر منتهٍ بالنسبة لي.

- لكن... سأخبرك بشيء.

- لا أريد أن أسمع شيئًا يخص أحمد من بعيدٍ أو من قريب. سلام يا "حياة".

وما إن أغلقت الخط حتى رن الهاتف للمرة الثالثة فهذا هو اليوم العالمي لرنين الهاتف:

- تبًّا لكم جميعًا، لن أذهب. لن أذهب إلى ذلك الحفل.

صوت غريب هادئ لأول مرة أسمعه:

- أعتذر إليك يا فندم، أنا لا أدعوكِ لحفل. تسلمتِ رسالة من شركتنا بخصوص فترة التدريب؟ أريد تأكيدًا بالحضور من حضرتك أو رفضًا.

بنبرة تملؤها الخجل:

- أنا آسفة فعلًا.
- هل تعتذرين عن التدريب أم عن الحفل؟
- لا. أقصد نعم.
- لم أفهم ردك.
- نعم سآتي الحفل. أقصد التمرين. لا التدريب.

فضحك بصوتٍ خافتٍ من ارتباكي وقال:

- هناك سيارة ستمر غدًا عليكِ في تمام التاسعة صباحا.
- تمام. شكرًا جدًّا.

أنهيت المكالمة وأنا ما زلت منفعلة من الحفل والتمرين وكل شيء. أي تمرين؟ مغفلة أنا! كأنني جننت؛ لقد أفقدني أحمد عقلي كليًّا.

ولكن أليس غريبًا جدًّا أن يرسل لي سيارة تقلني لمقر الشركة؟ هل سيرسل لكل المتدربين؟ لم تذكر لي "هنا" أو "حياة" أي شيء عن هذا التدريب!! وهل أعطيتهن فرصة ليقلن شيئًا؟!

سأتصل بـ "هنا" أسألها عن الأمر، لكن لا، لن أتصل؛ حتى لا تعتقد أنني أود الذهاب للحفلة؛ وأتحجج بهذا الأمر. بالتأكيد وصلتهن نفس الرسالة، إلا إذا كنت من المشاهير، أو أوائل الدفعة، وأنا لا هذا ولا ذاك.

ماذا سأرتدي غدًا؟ ها أنا ذا وضعت قدمي على أول خطوة في عالم العمل، وذات يوم سأصبح سيدة أعمال لها مكانتها في المجتمع. يجب أن أتوقف عن الحديث طوال الوقت لنفسي؛ سأفقد عقلي قريبًا. ومن لي حتى أتحدث معه؟ حتى صديقتي الوحيدة "روبي" رحلت منذ عامين؛ بعد أن تركت الجامعة وتزوجت، وسافرت مع زوجها، انقطعت كل أخبارها. كيف هي الآن؟ هل أصبح لديها أطفال؟ كم أفتقدها! فهي خير من صادقت. دومًا يسلبني القدر كل من أحبهم؛ يتركونني ويرحلون بعيدًا.

كفِّي عن الحديث لنفسك كارين!!!

رفعت صوت ريم البنا وهي تغني أغنيتي المفضلة "وأعطي نصف عمري للذي يجعل طفلا باكيا يضحك.." كم هي جبارة في غنائها. تركت ألحانها تغطي على صوت أفكاري وأنا أبحث بين ملابسي عما سأرتديه غدًا. هذا ضيق جدًّا، هذا قصير، هذا قديم، هذا غير مناسب للعمل. لا أملك شيئًا مناسبًا وسط تل الملابس هذا -عقدة كل فتاة-.

سأذهب لأشتري شيئًا جديدًا يبدو منمقًا، يتناسب مع طبيعة العمل في شركة كبيرة، ماذا لو اشتريت بدلة وارتديت رابطة عنق وقصصت شعري حتى أبدو كرجل عشريني؟! إنها فكرة رائعة. أعشق الجنون!!

كانت الساعة تشير إلى السابعة حين قررت الخروج، وما إن أغلقت الباب الحديدي في نهاية الممر الصغير أمام البيت حتى التفتُّ لأجد أحمد أمامي!!!

تبدلت ملامحي كلها، لن ننتهي من هذا الأمر؟ بداخلي أشعر براحة لرؤيته وإصراره على أن نعود لسابق عهدنا، لكنّ هناك شيئًا آخر يرفض وجوده في حياتي؛ فأنا أكره الخيانة. نظرت له وقلت في هدوءٍ تام:

- لماذا أنت هنا؟ ألستَ تقيم حفلًا اليوم؟!

= بلى، أقيم حفلًا من أجلكِ، وأنتِ لم تحضري بعد؛ فأتيت لآخُذَك بالقوة.

ضحكت ساخرة:

- تأخذني بالقوة؟! ماذا تريد مني؟

= أريدك يا كارين. أريدك أنتِ. أريد أن نعود كما كنا. لا أستطيع أن أكمل حياتي دونك!

- وماذا فعلت عندما كنت معك؟ هل قدرت وجودي؟ اذهب يا أحمد، وابحث عن فتاة أخرى، ابحث عن فتاة أخرى تكون بديلة لي؛ تشبع رغباتك ونزواتك، ولكنها لن تمنحك ما منحته أنا لك، لن تجد بين أحضانها دفئًا مثل الذي كنت تشعر به بين أحضاني، ابحث عن فتاة تكون لك أنيسًا، ولكنها لن تطيب خاطرك بصدقٍ مثلما كنت أنا. ابحث عن فتاة ترضيك. وإن كانت لن ترضيك أبدًا لأنها باختصار لن تكون أنا.

بشيء من الغضب رد وهو ينظر في عيني:

= لا، لن أبحث عن أخرى؛ لأنني لا أريد سواكِ، شئتِ أم أبيتِ أنتِ ملكي يا كارين، وأنا لن أيأس، لكن لا تتمادَيْ كثيرًا حتى لا أقتلك؛ أنتِ تعلمين كم أنا مجنون.

بداخلي شعرت بقوة الانتصار، بفرحةٍ عارمةٍ كادت أن ترتسم على ملامحي، ولكني نطقت بما ليس في قلبي:

- انتظر قليلا حتى أريك صورك في أحضان أخريات؛ كي تتذكر كلما نسيت، لم أتركْك من فراغ، بل من خيانتك. متى كنت تعرف كل هؤلاء؟ كم كنت تدفع لهن في الليلة؟ أم هن من يدفعن لك حتى تمارس معهن الجنس؟!

بصوتٍ عالٍ وغضبٍ عارمٍ جذبني من ذراعي حتى أصبحت بين يديه. أشعر بأنفاسه وهي تلهب بشرتي. عطره الذي يتغلل مسامَّ جسدي ليصيبه بالقشعريرة. أغمضت عيني وشعرت أنني عفوت وغفرت وسامحت في لحظة. خشيت أن أفتح عيني وأنظر إليه؛ حتى لا يرى كل هذا الضعف بين يديه، رفع خصلات شعري، وهمس لي أن أنظر له، ولكنني رفضت، قلت له بصوت لا يكاد يُسمَع:

- اتركني أرجوك!

= لا... كارين، لن أتركك، لن أتركك بعد الآن مهما حدث، مهما صرختِ أو غضبتِ، مهما فعلتِ أنتِ ملكي وقلبي، أنتِ سكن القلب. أيرضيكِ أن يكون قلبي شريدًا لا سكن له أو مأوى؟؟

- أحمد، اتركني أرجوك!

لا أدري أين ذهب قاموس كلماتي، توقف عقلي عن أي تفكير، كنت أقول له (اتركني)، وبدت كأنها:(ضمني لك بشدة)، كنت أرجوه أن يبتعد

عني في حين كنت أنا أقترب منه أكثر فأكثر. حتى أصبحت ألامس صدره، وأشعر بنبض قلبه وكأنني أذوب بين يديه.

تبًّا له، ما زال له في القلب شيء.

لم يوقظني مما أنا فيه سوى صوت سيارة تمر من جانبنا، وكأن السائق ينبهنا أننا نقف في شارع عام، فابتعدت عنه، وها أنا قد عدت لوعيي بالتدريج، وعادت لي ذاكرتي؛ لأتذكر بعض الكلمات.

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- ما فعلته بي ليس بالهين. لن أسامحك بالسهولة التي تتوقعها مهما كان حبي لك. اتركني أحدد ما أريد، لا تلاحقني في كل مكان، امنحني فرصة أمحو ما مررت به وما رأيته، وربما بعد فترة يمكننا أن نرى ونقرر ماذا سنفعل؟

صمت قليلًا وكأنه يريد أن يتأكد من صدق كلامي، وأنه ليس وسيلة للهرب من الموقف؛ فهو يعرفني أكثر من نفسه.

- لكِ ما تريدين كارين، ولكن فقط ثلاثة أيام.

- شهرًا كاملًا.

- أسبوعًا يا كارين، وستجدينني هنا في بيتك.

- اتفقنا.

ركب سيارته ورحل، وأنا أشعر كأن حياتي قد عادت لي مرة أخرى؛ لم أعد ألامس الأرض من شدة فرحتي، ولكن حاولت بقدر المستطاع ألا أظهر هذا أمامه.

عدت مرة أخرى للداخل، فلم أعد أتذكر لمَ خرجت؟، وأين كنت ذاهبة؟، كل ما أتذكره هو نبض قلبه وهو يحتضنني، ولكن قطع تفكيري صوت رسالة على هاتفي. إنه نفس الرقم الذي أرسل لي صور أحمد من قبل!! نظرت إليه طويلًا. كنت أعلم أنه أرسل لي شيئًا جديدًا يخص أحمد، فتحت الرسالة بتردد، وإذا بصور جديدة لأحمد مع فتاة غير التي رأيتهن من قبل، وكأنها تعلم أن أحمد كان هنا منذ قليل!!! فكتبت لها:

- من أنتِ؟ وماذا تريدين مني؟

بدت وكأنها تكتب شيئًا، ولكن استغرقت فترة طويلة، وفي النهاية جاءت جملة قصيرة:

- هذه الصور التقطت اليوم.
- أنتِ تكذبين. ماذا تريدين؟ هل أنتِ إحدى عشيقاته؟؟

لم تجب، حاولت الاتصال بالرقم لكن دون جدوى؛ فالرقم مغلق، وكأن الهدف الوحيد من هذا الرقم هو إثارة غضبي. أغلقت الهاتف وألقيت به بعيدًا. أيًّا كان من يفعل هذا فهو هدفه أن يفرق بيني وبين أحمد، ويبدو أنه قد نجح في ذلك.

لتذهب للجحيم هي وهو. لا أريد أن أفكر فيه مرة أخرى. أقول هذا وتنهمر دموعي؛ فهناك غصة في القلب، أنين بلا صوت. لا بد أن أصنع من جرحي خنجرًا أقتل به هذا الحب بداخلي.

* * *

مُر الحياة كمُر قهوتي

كلاهما يجعل منك أقوى

قادرًا على تحمل ظلمة الليل

لن أرحل، ولكن سأقتل ما لك بداخلي.

سأقوى على النسيان

ولن أترك لك أثرًا في حياتي بعد الآن.

مع بداية نهار جديد

أمل جديد

استيقظت في تمام السابعة حتى أستعدّ؛ وإن كنت ما زلت في حيرة مما سأرتديه اليوم.

وبعد بحثٍ طويلٍ وفنجان قهوة وسيجارتين توصلت أخيرًا لشيءٍ مناسبٍ للنزول صباحًا، ورفعت خصلات شعري للخلف، وقيدتها برابطة شعري، وحذاء رياضي يناسب ملابسي، حملت حقيبتي وخرجت مفعمة بالأمل؛ هناك حياة جديدة تنتظرني، سألتقي بأشخاص جدد "لعلَّني ألتقي بمن يغير حياتي".

وجدت سيارة واقفة أمام البيت، وكأنه هنا منذ أمس! عرّفني بنفسه وفتح لي باب السيارة كأميرة، وإن كان الأمر يبدو غريبًا كمتدربة إلا أنني أعشق المغامرة، انطلقت السيارة وبدا الطريق طويلًا، فقد مرت أكثر من نصف ساعة ولم نصل بعد، كان الطريق وسط الصحراء؛ فسألت السائق بعد أن اشتد قلقي:

- إلى أين نحن ذاهبان؟
- أوشكنا على الوصول سيدتي.

* * *

"لعلني ألتقي يومًا ما بمن يغير حياتي"
تلك كانت أمنيتي

اليوم الأول

إنها البداية

فتحت عينيّ وأنا أشعر بدوار رهيب وصداع قوي وكأن رأسي ارتطمت بصخرة مائة مرة. ما هذا المكان؟ أين أنا؟!

كانت الرؤية غير واضحة أمامي، وكأنني أمام صورة ضبابية، لا أميز شيئًا. أغمضت عيني مرة واثنتين حتى تستعيد الرؤية، مرت دقائق وأنا هكذا، حتى تمكنت الصورة من الوضوح أمامي؛ أنا في صندوق كبير، هذا كل ما جاء في بالي وقتها، لا شيء سوى زجاجة مياه بجواري على الأرض، التقطتها لشعوري بعطشٍ رهيب، تأكدت من غطائها أنها لم تفتح من قبل، شربت منها ما يرويني حتى تمالكت نفسي، ووقفت.

غرفة كبيرة جدرانها بيضاء، بها مستطيلات كبيرة وكأنها أدراج في الحائط، لا أرى أي مدخل أو أبواب. حاولت فتح أيٍّ منهم ولكن دون فائدة، كيف دخلت إلى هنا؟ وكأن الغرفة بنيت فوق رأسي.

أحمد. بالتأكيد هو وراء كل هذا. قلت بصوتٍ عالٍ:

- هذه ليست مزحة، أليس كذلك؟ أحمد لا تحاول، انتهيت بالنسبة لي، أخرجني حالًا من هنا... فورًا.

ولكن دون أي رد. الصمت يسيطر على كل شيء. لم أكن أشعر بالخوف. فقط الحيرة تحيط بالمكان. ناديت بصوتٍ عال:

- "مَن هنا؟ هل هناك أحد يسمعني؟"

ولكن لا مجيب. لا أريد أن أستنزف طاقتي في الصريخ والتكسير؛ فلن يفيد بشيء.

جلست في أحد الأركان حتى أرتب أفكاري، وما إن جلست حتى وجدت أحد الأدراج السفلية تفتح أتوماتيكيًّا لتزيح للخارج منضدة وكرسيًّا صغيرًا، ثم ينسحب الدرج للداخل ليختفي أي أثر له، وكان على المنضدة فنجان قهوة ساخن وعلبة سجائر من نفس النوع الذي أدخنه.

- أحمد، يكفي هذا. أخرجني حالًا من هنا.

ولكن لا إجابة. لا صوت.

اقتربت من القهوة، إذا بها ما زالت ساخنة، لم أتردد في أن أرتشف منها القليل؛ فقد كنت في أشد الحاجة لمثل هذا الفنجان الآن، أيًّا كان من يحتجزني هنا فهو لا يريد موتي، ولن يضع لي سمًّا في القهوة؛ فموتي أسهل من كل هذه التعقيدات بكثير.

أشعلت سيجارة تلو الأخرى، وما إن فرغت من قهوتي حتى قلت بصوتٍ عالٍ:

- أريد فنجانًا آخر من فضلك!!

لم تمر دقيقتان إلا وقد فتح أحد الأدراج وبه بسكويت وعلبة مربى صغيرة، إنه يعلم ما أتناوله أيضًا كل صباح حتى فنجان القهوة، وكأنه يخبرني أن آكل شيئًا أولا.

ضحكت وقلت له:

- لن آكل شيئًا حتى أعلم ما تريد مني.

أخذت فنجان القهوة وتركت البسكويت وأشعلت سيجارة أخرى وأنا أنفث دخانها:

- هل سيستمر الوضع هكذا كثيرًا؟!

لفت نظري ورقة صغيرة تحت فنجان القهوة مكتوب عليها: "لا تقلقي. أنتِ هنا بأمان".

- هذا رائع جدًّا. لفتة لطيفة منك. شكرًا على طمأنتي. ولكن قد مللت. أتريد شيئًا مني آخر؟ فقد شربت زجاجة مياه وفنجانين من القهوة وأربع سجائر. وتركت البسكويت والمربى؛ لن أحاسب عليها. شكرًا على حسن الضيافة يا فندم جدًّا. أريد الشيك حتى أنصرف.

قلت هذا بلهجةٍ ساخرةٍ وأنا أضحك ومتجهة نحو أحد الأركان متوقعة أن يُفتح لي بابٌ من أحد هذه الأدراج السحرية؛ ولكن ما حدث هو أن الطاولة سُحبت مرة أخرى وعادت لأدراجها بما عليها من فناجين قهوة وسجائر.

- يا لك من بخيل على الأقل اترك لي السجائر!

فُتح أحد الأدراج مرة أخرى فقلت له:

- كم أنت مهذب!

ذهبت لأجد بها البسكويت وورقة صغيرة مكتوب عليها: "التدخين سيقتلك".

- شكرًا لك على هذه النصيحة، ولكن ما الذي في حياتي لن يقتلني؟؟ لقد قتلت ألف مرة. في الواحد وعشرين سنة التي عشتها لا يتوقف الأمر على سيجارة تشتعل بين يديّ، فهذه أهون من موتات كثيرة عشتها. شكرًا على النصيحة. من أنت؟؟ أنت لست أحمد. ماذا تريد مني؟؟ كان الأمر يبدو أبسط من هذه التعقيدات كلها والتكنولوجيا المكلفة. يبدو أنك قد دفعت الكثير حتى تصنع هذه الغرفة! كان يمكنك أن تدعوني إلى فنجان من القهوة ببساطة؛ لتوفر هذا العرض المذهل كله. أم أنك تحبسني هنا كَفَأر تجارب لتجري عليَّ بعض الفحوصات مثلًا؟!

لا مجيب. لا صوت. الصمت يقتلني في هذه الغرفة.

كأنه يسمع ما بداخلي؛ فسرعان ما تحول أحد الأدراج لشاشة عرض كبيرة لتعرض أغنية لريم البنا. تلك التي كنت أسمعها صباحًا: "زدني بفرط الحب تحيرًا".

هذا الرجل يعرف كل ما أحب وأهوى.

- من فضلك الريموت.

قلتها ساخرة وأنا أستمع لتلك النغمات الساحرة التي لا يمر يوم دون سماعها. وها هو يلبي ندائي، لتتحول الأدراج السفلية في أحد الجوانب لسرير يخرج من الحائط وضُعت عليه ملاءة بيضاء ووسادتان، والمذهل في الأمر أن الريموت لونه أبيض أيضًا. كل ما في الغرفة لونه أبيض مضيء.

ألقيت بنفسي على السرير، وبدأت أبدل القنوات؛ وكان الغريب أن ترتيب القنوات هو الترتيب نفسه في تلفازي بالبيت!! وبعد أن مررت على

عدة قنوات وكأنني أريد أن أثير انتباهه، عدت كعادتي لقناة الأغاني التي دومًا ما أسمعها. ألقيت بظهري على السرير وأغمضت عينيّ. أريد أن أفكر بهدوء. قلّل الإضاءة تدريجيًّا وكأنه يريدني أن أشعر بالراحة، وانخفض صوت الموسيقى أيضًا، يبدو أنني لست المتحكمة الوحيدة في الريموت. لم أعطه أي اهتمام.

هل متُّ؟ انقلبت السيارة وهذه هي الحياة الأخرى؟ هل سيكون عالم ما بعد الحياة به قهوة وبسكويت؟ هل خطفني أحد الفضائيين ليجري عليّ تجارب كما أرى في الأفلام الأجنبية؟؟!

هل كان هناك ثري عربي يراقبني في صمت مثلًا حتى تسنح له الفرصة ليخطفني؟! لماذا انتظر إذن حتى أنهي جامعتي؟ كان وفر كل هذا الوقت.

كارين، حتى في الكوارث تفكيرك هزلي ساذج، ألا تدركين ما أنتِ فيه؟ أفيقي من غبائك هذا!!

أنا غالبًا وسط الصحراء، لا أدري أين. حبيسة غرفة بيضاء سحرية، لا أملك شيئًا حتى هاتفي ولا أعرف من خطفني. ماذا يمكنني أن أفعل؟؟ فقط عليَّ الانتظار حتى يمل هو ويفصح عما يريد.

- أريد عصيرًا أو مثلجات من فضلك.

قلتها بصوت هادئ وكأنني أتحدث لنادل في مقهى عام. دقيقتان بالضبط وفتح درج به كأس من المثلجات بهرني للغاية، إذن أي طلب يستغرق فقط دقيقتين. هذه خدمة ممتازة!

وبعد إن انتهيت ووضعت الكأس مكانها حتى اختفى الدرج من أمامي مرة أخرى.

- يا أنتَ، هل سيستمر الوضع هكذا كثيرًا؛ فقد مللت.

وكانت إجابته أن التلفاز تغيرت محطته ليعرض فيلم "Green mile" فيلمي المفضل.

- ثم ماذا؟؟ ماذا بعد تلبية كل طلباتي؟!!

أريد أن أقضي حاجتي. أريد أن.... وقبل أن أكمل كلمتي فتح لي ركن طويل بالحائط وبه باب صغير، اقتربت ونظرت بداخله.

- جيد جدًّا، وهل ستشاهد ذلك؟!

فتح درج بجواري وبه ورقة: "أنتِ في أمان. اطمئني؛ لا يوجد كاميرات بالداخل".

- حسنًا. لا أصدقك.

فكانت إجابته أنه أغلق الضوء تمامًا حتى إنني لم أعد أستطيع أن أرى يدي.

- وهل هذا حل؟ لا أرى شيئًا!!

أضاء الغرفة تدريجيا بضوء خافت؛ ولكن ظل المرحاض مظلمًا تمامًا. دخلت وخرجت مسرعة.

- لا أرى شيئًا. أخاف من الظلام.

فتح أحد الأدراج وبه كشاف صغير، أخذته ودخلت مغلقة الباب خلفي، صعدت على حافة القاعدة محاولة البحث عن مخرج أو فتحة تهوية. ولكن لا شيء. لا مخرج ولا مدخل. غسلت وجهي ونظرت في المرآة على ضوء الكشاف الصغير، وجدت بها مقبضًا. جذبته لأجد كل ما أستخدمه من مستحضرات تجميل وكريمات، حتى نفس نوع الشامبو الذي

أستخدمه. كم الأمر مدهش! أكثر من محير حقًّا!

- يا أنت، ماذا تريد مني؟ لننهِ هذه اللعبة السخيفة؛ فقد سئمت حقًّا من هذا الوضع.

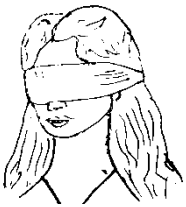

= "أخبريني بما تريدين وسأنفذه لك".

لقد تحدث أخيرًا. ليس كائنًا فضائيًّا، يبدو كشاب عشريني من لهجته وصوته:

- أريد أن أعود لبيتي. شكرًا على ضيافتك، والقهوة كانت ينقصها القليل من السكر للعلم فقط.

= أعدك ستكون مثلما تريدين المرة القادمة.

- لا. ليست هناك مرة قادمة، ستخبرني من أنت وماذا تريد، وسأرحل الآن.

= أعدك سترحلين قريبًا، ولكن ليس الآن. أما من أنا، فسأتركك تعرفين وحدك.

وفتح الدرج برفقٍ وبه فنجان من القهوة:

= أتمنى أن تعجبك هذه القهوة.

* * *

لن تشعر بقيمة الأشياء إلا حين تفقدها،
هكذا كانت حياتي. أفقد كل ما تعلقت به.
حتى اعتدت الشعور بالفقد، ولكن أن تفتقد
ضوء الشمس ولون السماء؛ هذا ما لم أكن أتخيله قط.

كيف حال السماء . ؟ !

أن يكون أقصى طموحك هو أن ترى السماء، وتشعر بأشعة الشمس وهي تلامس وجهك، وتتنفس عبير الصباح. تلك الطيور التي تطير مغردة فوق رأسك وقد يزعجك صوتها، أوراق

الأشجار وهي تتساقط لتملأ أرجاء الحديقة؛ فتستاء لأنك مجبر على جمعها، صوت المنادي وهو يدلل على بضاعته صباحًا، فتشعر أنك تحولت لمجرم وتريد أن تقتله.

أن تفتقد تلك الأشياء كلها التي كنت تعتقد فيما مضى أنها الروتين الذي تود أن تتخلص منه، هذا هو شعوري الآن.

تشير ساعة يدي إلى الواحدة بعد منتصف الليل، لكنني لا أشعر بالوقت هنا. إلى متى سأظل سجينة هكذا؟!

- لقد سئمت من هذا السجن، سئمت من كل شيء هنا، أريد أن أخرج.

لا رد ولا إجابة. هل ذهب أم أنه نائم الآن؟!

بدأت أغير قنوات التلفاز لعلّني أجد ما يشغلني، فجاء صوته ليفزعني بالرغم من هدوء نبرة صوته:

= أعتذر لكِ. حاولي أن تنالي قسطًا من النوم، فالوقت تأخر.

- حقًّا؟! تمزح أكيد. راحة ممَّ؟ أنا طوال اليوم في هذه الغرفة لا أفعل شيئًا سوى الجلوس. هل سنطلع الجبل غدًا نكسر الصخور؟!

قلتها باستهزاء وأنا ألقي بالريموت بعيدًا، وبعد صمت فتح درج ليخرج منه لاب توب مفتوح على لعبة شطرنج.

= هل تلعبين معي؟ أعلم أنكِ تحبين هذه اللعبة.

- أنتَ خطفتني إذن حتى تلعب معي الشطرنج؟!

= بالطبع لا، ولكن أريد أن أدفع عنك الملل.

- شكرًا لتقديرك مشاعري، ولكن لا أريد أن ألعب.

فسحب الدرج للخلف أتوماتيكيًّا فقلت له مسرعة:

- هل هذا الحاسب موصّل بالإنترنت؟

= لا. سيدتي.

- هل يمكن أن تصله بالإنترنت؟

= للأسف لا.

- هل يمكنني أن أتحدث عبر الهاتف؟

= لا.

- هل يمكنني أن أقول لك شيئًا؟

= بالتأكيد طبعًا.

- تبًّا لك.

= شكرًا لكِ.

- أنت حقًّا شخص مستفز. ماذا تريد مني؟!

= ستعرفين عندما يحين الوقت لذلك، ولكن تأكدي أنكِ هنا بأمان، لن يمسسكِ شيء.

- وغد.

= شكرًا.

- أريد أن أغير ملابسي.

على الفور فتح درج به بيجامة نوم.

- كيف حصلت على هذه البيجامة؟! هذه بيجامتي التي كنت أرتديها صباحًا. أنت لص إذن.

= لا سيدتي. لست لصًّا. هذه مثلها فقط.

- وكيف عرفت أن لدي مثلها؟

= لأنني اشتريتها في نفس الوقت الذي اشتريتِ فيه أنتِ.

- أنتَ تراقبني منذ فترة إذن.

= حان وقت النوم، لا بد أن تنامي قليلًا، سأطفئ الضوء الآن.

- انتظر. لا ترحل. لا أريد أن أظل وحدي هنا.

لم يجِبني، ولكن تحولت جدران الغرفة كأنني في غرفتي بالبيت، بنفس لون الجدران. الصور المعلقة. حتى الخدوش التي في الجدار، وأطفأ كل الإضاءة، وترك ضوءًا ورديًّا خافتًا مثل الذي في غرفتي. وسمعت صوت سيمفونية بيتهوفن التي دومًا أسمعها ليلًا"fur Elise"، شعرت بهدوء نسبي وكأنني في بيتي.

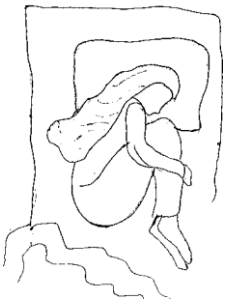

بالفعل بدلت ملابسي داخل المرحاض، ودلفت إلى السرير أحتضن الوسادة الصغيرة. أغمضت عينيّ وأنا أهمس:

"هذا الرجل يعرفني أكثر من نفسي. هذا الرجل يقرأ ما بداخلي دون البوح به. من تكون؟!"

أن تعتقد أنك أتممت مهمتك في الحياة، وأنهيت كل الأمور المعلقة في حياتك، ذاك مجرد وهم كبير تحيا به. هناك دومًا أشياء تغفل عنها وتتناساها، ولكنها تظل معلقة في عنقك حتى يأتيك اليقين.

اليوم الثاني

خيال واقعي

أستيقظ على أشعة الشمس وهي تداعب جفوني وصوت زقزقة الطيور لا يتوقف فوق رأسي، لم أفتح عيني بعد، هل ما مررت به كان حلمًا وأنا الآن في غرفتي حقا؟ فتحت جفوني المتثاقلة ببطء ونظرت حولي لأجد كل جدار حولي به صورة لحديقة بيتنا، وأرجوحة صغيرة تتدلى من سقف الغرفة، وهناك منضدة عليها وُضع كوب من اللبن وقطع الخبز المحمص وجبن، جلست وأسندت ظهري على حائط السرير. أو بالأحرى على صورة الشجرة التي كانت على الحائط ومررت يدي خلال شعري وقلت بهدوء:

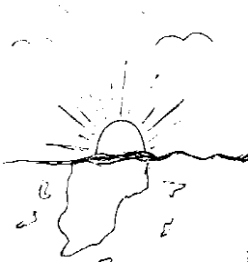

- لأول مرة تخطئ. من قال لك إنني أشرب الحليب صباحًا أو حتى مساءً؟ أنا لست طفلة.

فضحك وكأنه كان ينتظر أن أستيقظ، وحين فقد الأمل أضاء الغرفة بضوء كضوء الشمس:

= صباحك خير. لم أخطئ؛ ولكن أنتِ في حاجة لكمية كبيرة من الكالسيوم، فجسمك يعاني من نقص الكالسيوم.

- ومن أخبرك بهذا؟ جسمي؟!

قلتها ساخرة.

= نعم. فتحليلك يشير لنقص كالسيوم.

- هل أجريت لي تحاليل؟!!

= بالتأكيد. بمجرد حضورك سحب الدكتور منك عينة دم ليجري لك بعض الفحوصات، فقط لأطمئن عليكِ.

نظرت لرسغي فلم أنتبه أبدًا لتلك اللاصقة الصغيرة، أزلتها ببطء. وقبل أن أقول شيئا..

= لا تقلقي كارين، لم نعطكِ أية أدوية، فقط المخدر في السيارة، وأعتذر عن هذا، فقد كنت مضطرًا حتى أحضرك هنا بهدوء.

- أريد أن أدخن. وقهوة.

= بعد كوب الحليب... أعدك.

- أنت تعاملني كطفلة صغيرة، وتفرض عليّ شروطك؛ لن أشربه.

= ليست شروطًا ولستِ طفلة. فقط من أجل صحتك، لن أخاف عليكِ أكثر منك.

- حقيقة أشعر أنك تعرفني أكثر من نفسي.

= هذه حقيقة. ولهذا رجاءً اشربي كوب الحليب. لا أطلب سوى أن تتناولي فطورك، وأعدك بعدها بساعة ستجدين قهوتك أمامك.

= هل تفي بوعودك؟!

- دائمًا.

= حدثني عن نفسك.

فصمت كثيرًا شعرت أنه يتأمل ملامحي عن قرب وأنا أجلس القرفصاء على الأرض أتناول الفطور لأول مرة منذ عامين تقريبًا. ثم قال:

= نحن الاثنان ولدنا في اليوم نفسه. واسمي يبدأ بأول حرف من اسمك.

- أي أننا في العمر نفسه. اسمك كريم إذن.

= ولمَ لا يكون "كمال" أو "كرم"؟

- لا أدري، هذا أول ما خطر ببالي؛ فأنا أحب هذا الاسم.

= نعم. أنا كريم.

- أهلًا بك كريم. سعدت بلقائك جدًّا، هل تسمح لي بالانصراف؟

= هل تودين حقًّا أن ترحلي؟

- ماذا ترى أنت؟ لا أعرف أين أنا؟ مع شخص يعرف عني كل شيء، حتى ألوان ملابسي الداخلية، يحتجزني في غرفة بيضاء ذات جدران بها صور متحركة تحاكي كل ما في بيتي. ولا أعرف لمَا تحتجزني هنا. تبدو لطيفًا صراحة؛ لكنك غامض وغير واضح.

= ماذا لو طلبت منك أن تقضي معي هنا عشرة أيام فقط، ثم أعيدك إلى بيتك؟

- أنت تمزح... أليس كذلك؟ أقضي في هذا السجن عشرة أيام؟!! لماذا؟؟ هناك من يبحث عني الآن؟ أنا لدي حياتي الخاصة.

= تقصدين أحمد؟ أتريدين أن ترَيْ ماذا يفعل الآن؟

- هل تراقبه هو أيضًا؟!

= أراقبه من أجل أن أطمئن عليك فقط، لا من أجله.

وعرضت شاشة التلفاز فيديو له وهو يجلس في أحد البارات مع فتاة وأمامهما كأسان.

شعرت بخجلٍ شديدٍ بداخلي، فالوحيد الذي توقعت أن يكترث من أجلي ها هو يشرب ويسكر مع فتاة أخرى ولا يبالي.

قالت له الفتاة: "ماذا بك يا أحمد؟ تبدو قلقًا ومتوترًا وكأنك تائه".

هز رأسه بعدم اكتراث لسؤالها: "لمْ أنم منذ الأمس فقط، وتلك الحمقاء التي أحبها اختفت، لا أدري إلى أين سافرت".

- أغلق هذه الشاشة يا كريم، من فضلك.

قلتها بحدةٍ وعصبيةٍ وأنا أشعر باختناق ورغبة عارمة في البكاء.

- اتركني وحدي.

لم يجب بأي شيء، واعتبرته ليس هنا بالرغم من شعوري أنه ما زال يراقبني.

فتح أحد الأدراج ليخرج منه فنجان وعلبة سجائري. خفت الضوء تلقائيًا، مما أكد لي أنه ما زال هنا.

هذا الحقير الغبي لن يتغير أبدا مهما فعلت، إنه لا يستحق أن أنظر في وجهه حتى. أنا حمقاء حقًّا؛ لأنني أحببت وغدًا مثله، فليذهب للجحيم بنزواته هذه، ليحترق ألف مرة دون رحمة أو شفقة.

ودون تفكير أو وعي قلت بصوت عالٍ:

- أوافق يا كريم على قضاء عشرة أيام هنا معك. أنا موافقة.

قلتها ثم أجهشت بالبكاء.

إنه الألم الذي في القلب، ذاك الألم الذي ينبت بداخلك ليميت كل معاني الأمل والبهجة والثقة، ليقتل أي حب قد ينبت في قلبك يومًا ما.

إنه كفطر سام ينمو وينمو ليتغذى على كل مشاعرك التي تحيا من

أجلها؛ فيقتل فيك الرغبة في الحياة، الآن أستسلم لألمي وكأنني محاربٌ خاض حربًا عشرين عامًا قتل فيها كل الغزاة وفي النهاية تقتله لدغة حشرة، فيموت وحيدًا على ضفة نهر.

وقفت وقلت بصوتٍ حازم:

- كريم، ليس لي أحد. لن يفتقد وجودي أي شخص. وسرعان ما سينساني صديقاتي؛ فأنا فتاة منسية، اقتلني يا كريم، ولن ألومك.

أجابني وهو يسعل بشدة وكأنه لم ينتظر أن ينتهي من نوبة سعاله:

= هل جننتِ؟! لم أعهدك ضعيفة قط! فقدتِ أعز ما تملكين وكنتِ قوية صُلبة كالصخر، والآن تريدين أن تموتي من أجله؛ لأنه خدعك! لست كارين التي أعرفها، أنتِ أقوى من كل ذلك.

قلت والدموع تنسال على وجنتي برفق:

- نعم. أنا كالصخر؛ لا ينهزم ولا يذل، ولكن ألم ترَ يومًا الصخور وهي تحطمها الأمواج المتلاحقة؟ قطرات المياه إذا زادت عن حدها فتتت الصخر. ألم تشاهد جبلا يومًا ينهار من شدة العواصف والرياح؟ قد أبدو للجميع قوية مثابرة، لكن لم يرَ أحد دموعي حين أحتضن وسادتي ليلًا وحيدة في غرفتي؛ أفتقد كل من عرفتهم في حياتي ورحلوا وتركوني وحيدة أواجه مصاعب الحياة وحدي. تلك البسمة والمزاح اللذان دومًا ترسمهما ملامحي لا يشعر أحد بما وراءهما من حزن وألم... لا... لست تلك الفتاة التي تراها. في الحقيقة أنا أضعف مما تتخيل.

= كارين. لستِ وحدك من فقد أقرب الناس إليه. لستِ وحدك من طعنه سيف الغدر من الزمن؛ هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها عني، ولكن

أبدًا لم أسمح لشيء أن يصيبني بالإحباط أو اليأس؛ حتى لو كنت على مشارف الموت.

- كل منا يتألم على طريقته كريم، إنها الحياة تأخذ أكثر مما تعطي.

= إذن لا تستسلمي. وإذا أغلق باب في وجهك، تأكدي أن هناك ألف باب آخر، ولكن أنتِ من تقفين أمام الباب المغلق؛ تودين فتحه بشتى الطرق.

- لعل السبب هو أنني لا أرى بابًا غيره.

= أو لأنك لا تبحثين عن غيره.

- كريم، لمَ تفعل كل هذا؟إذا كنت تريد مني شيئًا ما لمَ لمْ تحدثني من قبل وتخبرني بما تريد؟ على الأقل سيكون أسهل من كل هذه التعقيدات! هل تُجري عليَّ بحثا ما؟!

= بالطبع لا. أنتِ ما زلتِ لا تفهمين.

- سأفهم لو حاولت أن تفهمني.

= عشرة أيام فقط، وستعرفين كل شيء.

- هل التقينا من قبل؟!

= أول يوم ذهبتِ فيه للجامعة التقينا، ومنذ هذا اليوم ونحن نلتقي في كل يوم تذهبين فيه للجامعة خلال أربعة أعوام.

- أنت معي إذن في القسم نفسه؟

= نعم، أنا معكِ ولم تريني قط بالرغم من أنني كل يوم أمر أمامك.

- كيف تكون معي طوال أربعة أعوام يومًا بيومٍ ولم أرك؟!

= ببساطة؛ لأنكِ كنتِ ترين فقط من تريدين أن تريه.

- كريم. أنتَ تحبني؟

لم يجب على سؤالي، شعرت بتنهيدته، رأيت كيف هي ملامح وجهه وكأنني أراه، أخذ نفسًا عميقًا سمعت صداه في مكبر الصوت الذي بغرفتي؛ وكأن أنفاسه تقول لي: "إنني أتمنى وجودك معي حتى آخر لحظة بعمري".

وكان رده بأن عرضت شاشة التلفاز صورة لي وأنا أقف في الجامعة، أتذكر هذا المعطف؛ ارتديته أول يوم في الجامعة، اشتراه لي أبي في عيد ميلادي، وقلت له حينها: سأرتديه في أول يوم دراسة بالجامعة، ثم توالت الصور. الكثير من الصور بأوضاع مختلفة، بل كأنه كان طوال الوقت يلتقط لي صورًا، المئات بل آلاف الصور عرضت بشكل سريع على الشاشة، صور لي مع مازن الذي أحببته في عامي الأول من الجامعة ولكن لم تدم علاقتنا لنهاية الفصل، حتى وصل لصورة أحمد حين رأيته أول مرة وأنا أقف متسمرة في مكاني، وصورة أخرى توقف عندها قليلًا. تركز فقط على نظرة عينيّ لأحمد وكأنه قرأ فيهما ما شعرت به، وها أنا أتجه نحوه، ثم تلاحقت الصور بسرعة مرة أخرى. هنا أضحك. وهنا أغضب.

قلت باندهاش غير مصدقة ما أراه:

- كل هذا كريم؟، كل هذا ولم ألمحك مرة واحدة. أنت لا تحبني. أنت مريض بي.

- إن كان الحب في نظرك مرضًا، فأنا حقًّا مريض بكِ يا كارين؛ حتى تغلغل المرض في كل جسدي، وأوشك أن يقتلني.

* * *

أن تمنح من تحب من قلبك وروحك وعمرك
دون أن يدرك؛ هو مؤلم حقًّا.
والأكثر ألمًا هو أن تجمع شتات نفسك
حتى تتمكن من العطاء والتضحية؛
لعله يدرك ذات يوم قيمة ما فعلته من أجله.

اليوم الثالث

صباح مزيف جديد

وإن كان صباحًا مميزًا يختلف عن شمس أمس؛ فتبدو السماء غائمة وكأن الأمطار ستتساقط فوق رأسي. رائحة الهواء كرائحة الخريف، جدران الغرفة تحولت جميعها وكأنني في غابة، تحجب عني الأشجار رؤية السماء إلا قليلًا منها؛ محاكاة للطبيعة تكاد تلمس الواقع، فصوت الحيوانات يأتي منخفضًا من بعيد دون أن أراها، وإن كان الصوت الأقرب هو صوت تغريد الطيور الذي يبعث في قلبك شيئًا من الأمل.

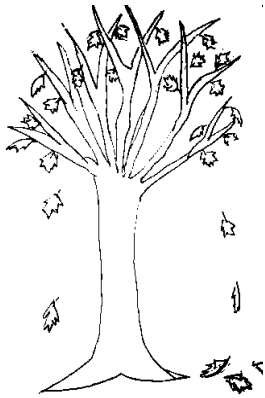

تجسدت بعض الأشجار في الغرفة في صور ثلاثية الأبعاد والتي يمكنك أن تمر من خلالها، كم هو رائع هذا السحر المحيط بي! لم أعش تلك اللحظات من قبل، والأكثر دهشة هو أوراق الأشجار المتساقطة على أرضية الغرفة؛ فقد كانت حقيقية. أمسكت بعضًا منها. كانت رائحتها برائحة الخريف، صفراء تذوب بين يديك من جفافها. إنه مجنون حقًّا ليفعل كل هذا من أجل أن يجعلني أشعر أنني لست في غرفة مغلقة.

كانت الغرفة كبيرة بدرجة تسمح لي بالتجول بين الأشجار، لأول مرة أستيقظ ولا أشعر أنني في حاجة لفنجان القهوة، وللحظة تمنيت أن يتوقف الزمن هنا، وأن يستمر شعوري بهذا الصفاء والراحة للأبد.

جلست إلى الطاولة الصغيرة أتساءل بداخلي أين هو الآن؟ لا أعتقد أنه ما زال نائمًا. ألم يلاحظ أنني أستيقظت؟ تناولت إفطاري في هدوء، وضحكت لكوب الحليب الذي يشعرني أنني في الخامسة من عمري، ليس الحليب بهذا السوء الذي كنت أعتقده.

= صباح الخير. أتمنى أن تكوني نمتِ اليوم بأريحية أفضل.

- صباح النور يا كريم، أين كنت؟

= كنت أنهي بعض الأمور الخاصة بالعمل، أعتذر لأنني لم أكن موجودًا حين استيقظتِ.

قالها كريم وهو لم يغب عنها لحظة واحدة؛ فقط كان يريد أن يمنحها مساحتها الخاصة، حتى لا تشعر أنها مراقبة طوال الوقت، كما أنه كان مستمتعًا جدًّا بسعادتها وهي تمر بين الأشجار وتلامس أوراقها.

- ماذا تعمل؟ يبدو أنك لست في حاجة لعمل!

= العمل يعطيكِ شعورًا بالرضا والنجاح. أنا أمتلك شركة كبيرة تركها لي أبي بعد وفاته، ستعملين بها أنتِ أيضًا طبعًا إذا وافقتِ أولًا.

- أنت ثري عربي إذن.

ضحك بملء فيه قائلًا:

= ليس لهذه الدرجة. أنتِ تبالغين قليلًا.

- كم كلفك إنشاء هذه الغرفة يا كريم؟

= إنها رخيصة جدًّا مقابل أن تكوني معي.

- أعلم بحقيقة مشاعرك تجاهي، ومقدرة حقًّا كل هذا، ولكن هل تعتقد أن عشرة أيام كافية لأن تجعلني أحبك؟!!

= أنا لم أطلب منك أن تحبيني!!

- إذن لماذا تحتجزني هنا عشرة أيام فقط؟ ما الهدف؟

= لأنني أريد أن أراكِ طوال العشرة أيام كل يوم. وأقضي معك أطول وقت ممكن.

- لماذا لا تأتي لتجلس معي؟ لماذا دومًا تحدثني عبر مكبر الصوت؟ لماذا لا أخرج أنا لك؟

= ألا تملين من تلك الأسئلة؟! ستعلمين كل شيء في الوقت المناسب.

- لا أمَلُّ ما دمت لا أفهم.

= أريد أن أعترف لكِ بأمر ما.

- كنت أعلم منذ البداية أنك من قتله، ولكن لم أتوقع أن تعترف لي بهذه السهولة.

فضحك حتى رأيته في خيالي يقع على ظهره من شدة الضحك.

= قتلت من؟! كارين هل أنتِ بخير؟

- دعني أراك يا كريم. قتلني التفكير في من تكون؟ أربعة أعوام معي لحظة بلحظة ولم أرك؟

= بالعكس، كنتِ ترينني كل يوم؛ ولكن ترينني بعين عدم الاهتمام.

- كيف وأنت تهتم بي كل هذا الاهتمام؟

= هذا لأنكِ كنت لا ترين إلا سطح الأمور.

- أنت تقصد أنني فتاة سطحية تافهة؟

قلتها فورًا في غضب؛ فقد أزعجني كلامه وليتني ما غضبت؛ فقد ملأت سماء غرفتي الغيوم، وشعرت بقطرات الأمطار تتساقط بخفة على وجهي فقلت بسخرية:

- أنت تمزح معي أم تسخر مني؟ هل يمطر سقف الغرفة؟!

= لا أسخر منكِ. ولكنها تمطر بالفعل في الخارج. أحاول أن أجعلكِ لا تنعزلين عن كل ما يحدث بالخارج.

- لا أريد أن أستحم الآن، فلتغلق ذاك الصنبور الذي تفتحه فوق رأسي.

فسمعت ضحكته وهي تمتزج بسعاله وكأنه مريض قائلًا:

= أغلق الصنبور. صنبور يا كارين؟! هل تظنين نفسك تجلسين عند النافورة بوسط المدينة. كما أنه هناك ملاحظة بسيطة. لم تستحمي منذ ثلاثة أيام.

- أنت تراقبني إذن؟

= نعم... لا لا. قلت لكِ: هذا هو المكان الوحيد الذي لا يوجد به كاميرات مراقبة، ثقي بي أرجوكِ.

فضحكت من ارتباكه وقلت له:

- هل أنت مريض؟

= لمَ تقولين هذا؟

- أسمعك تسعل كثيرًا وكأنك مصاب بنزلة شعبية حادة.

= لم أكن أعلم أنكِ طبيبة، كنت أعتقد أننا تخرجنا في نفس

الجامعة. كارين هل تعلمين أنكِ ثرثارة للغاية، لا تكفين عن إدخالنا في موضوع وإخراجنا منه قبل أن نتمه لموضوع آخر، حتى نسيت ماذا كنت سأقول لكِ.

جن جنوني حينما سمعت ما قال وكبُركانٍ ثائر انفجرت به:

- أنت من خطفني، هل نسيت؟! وأنت من تتحدث معي، وأعتقد أنك لا تريد مني شيئا سوى أن تسمع ثرثرتي. عمومًا شكرًا لك، لا أريد أن أسمع كلمة واحدة منك حتى تنتهي هذه المدة وأتخلص منك ومن سجنك هذا.

= كارين. أنا...

- اصمت. ولا كلمة واحدة. لا أريد أن أسمع صوتك.

ذهبت للسرير لأجلس عليه، وكأنني أرحل من أمامه، ولكن كان السرير قد اختفى فقلت له:

- أريد السرير حالا.

لكنه لم يرد وظل صامتًا فجلست في أحد الأركان على الأرض، وأغمضت عينيّ، وتذكرت كل ما دار بيننا، وكلامي الذي لا ينتهي، فأنا من بدأت. معه حق. فضحكت بصوتٍ عالٍ ليضحك هو الآخر.

- بمَ كنت تريد أن تعترف لي؟

= الأمر يتعلق بمازن. أنا من جعله يبتعد عنكِ.

- لا، أنت تفهم الأمر خطأ، أنا من تركته؛ فهو حقير، لا يستحق أن ألقي عليه التحية حتى.

= هل أحكي لكِ ما حدث؟

شعرت أن هناك ما لا أعرفه، هل دفع له ليكون وغدًا معي فأتركه.

فقلت بهدوء:

- احكِ لي.

ظهرت على الشاشة صور لمازن وهو يضحك مع أصدقائه وأنا أُقف أمامهم. لا أتذكر ذاك اليوم. توالت صور لمازن وجاء صوت كريم متزنًا:

= عندما رآكِ "مازن" أول مرة كان يقف وسط أصدقائه، وتراهن هو و"سامح" عليكِ، وكان الرهان عشرة جنيهات، على من يجعلك تحبينه أولا. وبمنتهى البراءة انجذبتِ نحو مازن لثقل دم "سامح" على قلبك وسخافته. كان "مازن" ساحرًا في كلماته كالمحتال، وكفتاة بريئة لا خبرة لها اندفعتِ نحوه بكل مشاعرك، ولشدة خوفي عليكِ من الصدمة هددته بحزمٍ إن لم يبتعد عنك سأقتله. شعر بصدقي في كل كلمة قلتها، لذا تغيرت طريقة معاملته معكِ وأصبح يتجاهلك خوفًا مني.

- لكنه أخبرني أنه تعلق بفتاةٍ أخرى، وأنني لست الفتاة التي يتمناها، ولا يشعر تجاهي بأية مشاعر. بالرغم من غضبي إلا أنني لم أكن أشعر أنه هو فعلًا من أتمناه، فقط كنت أنجذب له لمجرد أن كل الفتيات كانت تتمنى أن يكنَّ رفيقاته، فكنت أشعر أنني محظوظة برفقته، لكنني لم أكن سعيدة أبدًا معه، وكنت أبحث عن الحب لمجرد الحب. كنت صغيرة لا أعرف كيف تكون العلاقات، ومتى يجب أن ننهيها.

= ولهذا السبب طالت فترة الرهان لأنكِ لم تخبريه أنكِ تحبينه، كنت في البداية لا أريد أن أتدخل في حياتك، ولكنني لم أتحمل أن يجرحك شخص أيًّا كان.

- لا أدري كيف أشكرك على ما فعلت من أجلي، أنا حقًّا مدينة لك جدًّا، ممكن إرجاع حقيبتي حتى أرحل؛ فقد تأخرت جدًّا؟

جاء صوته عاليا كبندول ساعة:

= "تيك توك. تيك توك" باقي من الزمن سبعة أيام.

* * *

كان الوقت يمر عكس ما كنت أشعر في البداية، لم أشعر بالملل؛ بالعكس كنت أتمنى ألا ينتهي الوقت.

كان كريم يعرض لي لقطات غريبة وأنا فمي ممتلئ بالطعام، وأنا أجري خلف إحدى صديقاتي. وهنا أسكب زجاجة مياه على "حياة". الغريب أنه يذكر كل صورة بتفاصيلها وتاريخها؛ لدرجة أن هناك صورًا لم أكن أتذكر ما حدث وقتها في حين أنه يتذكر.

- لحظة يا كريم، توقف عند هذه الصورة. هذه "روبي" أجمل من صادقت وأطيبهم.

= أعلم. وأعرف أنها تزوجت وتركت الجامعة.

- هل تعلم أي شيء آخر عنها؟!

صمت للحظات.

= ماذا تقصدين؟

- أقصد إن كانت عادت لمصر أم لا؟
= في الحقيقة لا، ولكن سهل أن أعرف.
- يا ليت يا كريم، تعرف أي معلومات عنها، فأنا أشتاق إليها جدًّا.

❊ ❊ ❊

قضينا اليوم كله نحكي عن ذكريات مضت، يذكر أمورًا عني لا أعرف عنها شيئًا لم أسجلها بذاكرتي حتى، ولكنه ما زال مصممًا أن يذكرني بها.

لأول مرة أشعر بهذه الراحة في الحديث مع أحدهم.

أغمضت عينيّ وأنا أشعر بالأمان؛ فمن هو مثل "كريم" لن يؤذيني مطلقًا.

كان صادقًا حين قال لي: "اطمئني. أنتِ في أمان هنا".

❊ ❊ ❊

ماذا لو امتلكت مصباح علاء الدين؟

ما هي أمنيتك الأولى والثانية والثالثة؟؟

ماذا لو كانت أمنياتك جميعها تختزل في أمنية واحدة؟؟

وهي أن يظل شخص بجوارك إلى الأبد!!أو أنك تقدم

كل شيء تملكه فقط لترى من تحب سعيدًا.

اليوم الرابع

سندريلا أنا

استيقظت على همسات كريم وهو ينادي اسمي برفق؛ لكي أفيق من نومي، وما إن فتحت عينيّ حتى كانت الغرفة بيضاء تماما كسابق عهدها أول يوم، فقلت في نفسي: يكفي بذخًا ومصاريف. وضحكت في سري.

فقال بصوته الذي اعتدت على وجوده معي طوال اليوم:

= جميل أن أرى ابتسامتك في الصباح، هذا أمر لا يضاهيه شيء في الكون كله، هيا. يكفيكِ كسلًا. لست نائمة في بيتكم. ارتدي هذه الملابس واستعدي.

فُتِحَ الدرج وكان به فستان أبيض قصير، كم كان جميلًا، يبدو بسيطًا للغاية، ولكن مختلف. يشبه فساتين الزفاف، لا أتذكر متى آخر مرة ارتديت بها فستانًا، كأنني طفلة صغيرة فرحة بفستانها الجديد؛ حتى إنني لم أدرك ما أقول، فابتسمت وقلت له:

- هل سنتزوج اليوم؟

ثم شعرت بخجل شديد لما قلته، أنا حقًّا غبية. وما زاد خجلي هو صمته التام. كأنه لم يعد هنا، انتظرته قليلًا لعله يقول أي شيء، ولكن لا أدري هل ما زال هنا أم لا؟ وإن كنت أشعر بوجوده.

دخلت في هدوءٍ تحممت أولًا، وارتديت الفستان؛ كان يناسبني تمامًا، كيف يتقن مقاس ملابسي هكذا؟

جففت شعري وتركته ينسدل خلف ظهري، وتوجته بطوق ممتلئ بالزهور كان مع الفستان، ويبدو أنه اشترى كل هذا ونسي أن يحضر لي حذاء. كنت كالأميرة الحافية.

حين خرجت وجدت صندوقًا زجاجيًّا على الطاولة، وما إن فتحته حتى شهقت من شدة دهشتي. إنه حذاء زجاجي كحذاء سندريلا التي كانت ترتديه في الأفلام.

- يا ألله. كيف تعلم كل هذا عني وأنا لا أعلم عنك سوى اسمك؟!! منذ صغري وأنا أتمنى حذاء كحذاء سندريلا. حتى إن كثيرًا من صديقاتي كنّ يقلن لي: أنتِ سندريلا، لكن ينقصك حذاؤها. هل كنت تراقب هذا أيضًا؟!

كان رده أغرب مما أتوقع، فقد أُطفئت جميع الأضواء بالغرفة:

- كريم، تعلم أنني أخشى الظلام. كريم، لماذا لا تتحدث؟

جاء صوته مطمئنًا إلى حد ما بتلك الكلمات التي لامست قلبي:

= كارين، كل عام وأنتِ لي حياة لم أعشها. كل عام وأنتِ لي عمر تمنيته.

بدأت الغرفة تضيء تدريجيًّا. كل شيء اختلف عما كان، منضدة كبيرة ممتلئة بالهدايا، ومنضدة أخرى عليها كعكة كبيرة تحمل صورتي، زينة في كل مكان حولي.

- كريم. كل هذا من أجلي. هذا أكثر مما ينبغي.

= هذا أقل بكثير مما لكِ بداخلي. كنت أتمنى أن أحضر لكِ السماء بنجومها في إحدى العُلب كما تمنيتِ ذات يوم، ولكنني بكل أسف لم أستطع.

- هل تعني أن هذه الهدايا بها كل ما تمنيت؟!

= كل شيء قلتِ إنك تريدينه ذات يوم هنا ما عدا شيئًا واحدًا. لا، شيئين.

- أنا حتى لا أتذكر أنني تمنيت كل هذا. ولكن ما هما الشيئان؟

- أولًا نجمة من السماء. لم أستطع إحضارها، واستبدلتها بسلسلة بها نجمة ماسية، أريد منك أن ترتديها إلى الأبد وكلما لامستها أناملك تتذكرينني.

فقاطعته دون تفكير:

- لمَ؟ لمَ أتذكرك؟ إلى أين ستذهب؟

= أنتِ من ستذهبين بعد عشرة الأيام، هل نسيتِ؟

- لا. ولكنك وعدتني أن أعمل معك.

= عدتِ للثرثرة من جديد. هل كل النساء هكذا؟! افتحي أول علبة وارتدي السلسلة حتى يطمئن قلبي.

- شكرًا على هذه المجاملة اللطيفة، ولكن أنا أكثر النساء ثرثرة، لا أحد مثلي، اطمئن.

= وأنا أعشق تلك الثرثرة، فأنتِ ممتعة في حديثك حتى أكثر من الراديو.

- هكذا إذن. شكرًا كريم.

وأعطيت ظهري لمصدر صوته.

= جميلة أنتِ في كل حالاتك، حتى في غضبك أعشقك.

ابتسمت دون أن ألتفت له، أشعر أنني لست في كوكب الأرض، وكأنه حملني على جناحه لمكان ما في الجنة.

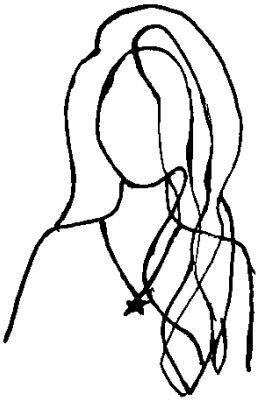

نظرت للنجمة المعلقة في السلسلة كان لها ضوء لامع تشبه حقًّا نجوم السماء. وضعتها حول عنقي، ثم استدرت تجاهه وأنا أنظر في الأرض.

- أنا لا أستحق كل هذا، أنت كريم معي للغاية، لا أريد كل هذه الهدايا، فقط سأحتفظ بهذه النجمة. سأرتدي السلسلة ولن أفرط فيها أبدًا، ستظل بجوار قلبي كما قلت إلى الأبد، ولكن.....

فقاطعني كريم قائلا:

= عدنا مرة ثانية للثرثرة والكلام الكثير. أريد أن أريك الشيء الثاني الذي لم أستطع أن أحضره لكِ؟ أغمضي عينيكِ... ها. الآن يمكنك أن تري.

صرخت من شدة فرحتي، وظللت أقفز في مكاني، لا أصدق ما أرى؛ إنها سيارة "ميني كوبر" كتلك التي رأيتها ذات يوم أمام الجامعة، وذهبت جلست فوقها وأخبرت صديقاتي أنها سيارتي الجديدة، وقضينا طوال اليوم نضحك ويسخرن مني، ولكني عاهدتهن أنني ذات يوم سأصبح ثرية وأشتريها.

لا أصدق ما أراه، هل كل هذا حقيقي؟ لا لا. أعتقد أنني في حلم عميق، كل ما حولي ليس إلا سرابًا وخيالًا.

= أعلم أنكِ لا تجيدين القيادة، لذا هي في جراج بيتك حتى تتعلمي القيادة جيدًا.

- لا تقل إن هذا حقيقي.

= بالطبع كله حقيقي، وكل هذه الهدايا ستكون في بيتك أيضًا بمجرد أن تنتهي من رؤيتها، والآن يمكنك أن تُشعلي الشمع في الكعكة لنحتفل، سأغني لك "happy birth day to you".

- انتظر لحظة. لقد قلت إن يوم ميلادنا واحد، هذا يعني أنه عيد ميلادك أنت أيضًا. انضم إليَّ وأعدك لن أحاول الخروج أو الهرب، فقط كن معي هنا.

= أرجوكِ سامحيني. لا يمكن.

- على الأقل أريد أن أهاديك مثلما هاديتني.

= ليس هناك هدية أعظم من وجودك هنا.

- ولكن. اطلب مني شيئًا على الأقل تتمناه أحققه لك.

= هل ستنفذين ما أطلبه؟!

- فقط إذا كان بإمكاني ذلك. أعدك.

= أريدك أن تتوقفي عن التدخين، أنتِ فتاة رائعة؛ لا تقتلي نفسك من أجل القليل من الدخان.

- أتعلم أنني لم أدخن اليوم سيجارة واحدة حتى!!

= أعلم، وهذا أسعدني كثيرًا.

- لكن حتى هذه الأمنية لي. أريد أن أهاديك شيئًا ما.

= أعدك قريبًا سأطلب منك أمرًا تفعلينه من أجلي، لا تقلقي. فقط أريدك أن تكوني قوية، وتتحملي المسؤولية.

- أعدك من كل قلبي. ولكن أي مسؤولية؟ ماذا تقصد؟

- ستعلمين كل شيء في وقته.اطمئني.

* * *

أن تستمع لكلمة (اطمئن) من شخص ما يجعلك تحس بالراحة، ولكن أن تشعر بالكلمة تستقر بقلبك لتطمئن كل جوارحك وتهدأ، تلك هي الطمأنينة التي تسكن القلوب، والتي لا يهبها لك إلا قلب عاشق بصدق.

اليوم الخامس

جبل من الجليد

اليوم كان شتاءً عند كريم.. ما زلنا في فصل الخريف، ولكنه أراد أن يعيش معي هذا الإحساس.. انخفضت درجة حرارة الغرفة بشكلٍ ملحوظٍ، وكست الأرضَ طبقةٌ رقيقة من الثلج الذي يتساقط من سماءٍ زرقاء قاتم لونها، ارتديت الملابس الثقيلة التي أعطاها لي كريم، وجلست بجوار المدفأة التي لا أدري من أين ظهرت؛ فقد وجدتها هكذا عندما استيقظت.. وقلت بصوتٍ مبحوح:

- كريم.. ماذا تفعل بي؟ سأموت هنا من البرد.. هل تراني فأر تجارب لك؟ بالإضافة إلى أن هناك أمرًا مهمًّا للغاية ناقصًا.. فقد فاتك شيء.

ضحك كريم قائلًا:

= معكِ حق.. فأنا كادت أطرافي أن تتجمد من شدة البرد، ولكن أردت أن أشعر بالشتاء معك.

ثم رفع درجة حرارة الغرفة، وتوقف سقوط الثلج لتبتلع الأرض ما بها من مياهٍ بشكلٍ مذهلٍ؛ وإن كانت ما زالت الجدران تظهر عليها صورة

لجبال القطب الشمالي، وحدها كفيلة أن تجعلني أشعر بالبرد. وأكمل كلامه:

= ما هو الشيء الناقص الذي فاتني؟ فقد حرصت على وجود كل شيء في الشتاء حتى كوب السحلب الدافئ.

فضحكت قائلة:

- بطريق يا كريم.. أين البطاريق؟

= صدقتِ، كيف فاتني هذا؟ ولكن في الوقت الراهن يمكنني أن أحضر لكِ بطًّا فقط.

وظهرت صور متحركة من حولي لبطاريق تقفز في مياه يغطيها الثلج.

= ها؟ هل أحضر لكِ بطة صغيرة؟

- ليس لهذه الدرجة.. فقط أمزح معك، كريم.. مر خمسة أيام ولم أرك، ولا تريد أن تريني حتى صورة واحدة لك.. أنا آسفة؛ لكن حقا لا أتذكرك.

= إنه لشيء مؤسف أن تضع كل آمالك في شخصٍ لا يتذكرك حتى، ولكن منذ البداية.. من أول لحظة التقت فيها أعيننا صُبَّ كل الحب الذي في العالم داخل قلبي لكِ، ولن أنكر أنكِ حينها لم تعيريني أي اهتمام أو حتى نظرة شفقة من عينيكِ؛ فقد كنت كورقة شجر سقطت أمامك.. لم تلفت حتى انتباهك.. فهل تعتقدين أنه سيفرق معكِ الآن إن رأيتِني أو عرفتِ من أكون؟ هل تعلمين يا كارين أنني كنت الوحيد في الدفعة الذي يحمل اسم كريم؟.. هل تعلمين أنني طوال أربعة أعوام كنت معكِ في نفس لجان الامتحانات ولم تلمحيني قط؟.

- كريم هون على نفسك وعليَّ.. لا تظلمني، لعلك أنت من أردت ألا ألمحك.. لمَ لم تحاول أن تتحدث إليَّ ولو مرة واحدة؟ لمَ لم ترسل لي على الأقل رسالة؟ تراقبني وتعرف عني كل شيء! تعد أنفاسي طوال أربعة أعوام! هل كان من الصعب عليك أن تحصل على رقم هاتفي؟ أنت من فعل هذا في حق نفسك..لم تمنحني حتى فرصة لأعرفك كزميل على الأقل.

سكت طويلًا.. لا أدري لمَ شعرت أنه يبكي، ماذا يخفي هذا الرجل لا يريدني أن أعرفه؟!!

- كريم.. كريم.. أنتَ بخير؟

= نعم سيدتي.. بخير، لا تقلقي.

ولكن كان يبدو على صوته غير ذلك؛ فنبرة اليأس تحتل المسافات بين كلماته.. تسكن بين حروفه.

- أرجوك سامحني لنبدأ من جديد.. اسمح لي بأن أعرفك مثلما تعرفني.

= كثيرًا ما تأتي البدايات بعد النهايات.

- لا أفهمك كريم.. ماذا تقصد؟

بنبرة جادة تخلو من أي مشاعر قال:

= لقد عرفت أخبار عن صديقتك روبي.

علمت في قرارة نفسي أنه يريد أن ينهي الموضوع، ولكن لهفتي لمعرفة أخبار روبي جعلتني أنطق متسرعة:

- قل لي ماذا عرفت؟

= اطمئني، هي بخير، ولكنها ما زالت بالخارج، لديها الآن كارين وكنان.

- كم هذا جميل! أن تسمي طفلتها على اسمي، مهما انقطعت أخبارنا يبقى بالقلب الوفاء.. لا تعلم يا كريم كم كنا قريبتين بعضنا من بعض.

= بالطبع أعلم.. هل أخبرك بشيء؟ ولكن عديني أولًا أن لا تثوري أو تغضبي.

- أعدك بقلبي.

= في العام الثاني من الجامعة حدثت مشكلة ما معكِ أنتِ وروبي كنت على علم بها.

- الوغد الحقير.. تامر هو من أخبرك.. أليس كذلك؟ سافل.

= لقد وعدتِني ألا تثوري.. لم يخبرني تامر بشيء، أنا من علمت دون أن يخبرني أحد، وأنا من أجبر تامرًا أن يذهب معكما إلى الطبيب لكي تتخلص من حملها؛ بعد أن تنصل منها ومما في بطنها، وعدته أن أتحمل التكاليف كافة، بل أعطيته مبلغًا لا بأس به من المال فقط لكي يقف إلى جواركما كرجلٍ ويتحمل المسؤولية.

فتحت فاهي مندهشة مما يقال، لا أجد كلمة واحدة يمكنني أن أقولها. ففعلًا بعد أن تهرب تامر من روبي وتخلى عنها وكانت على حافة الانهيار عاد بكل بساطة ووعدها بأن ينهي كل الموضوع لدى طبيب محترف.. النذل الحقير.

- لمَ فعلت هذا؟

= لأنني كنت أراكِ حزينة.. كانت أول مرة أرى فيها دموعك.

- كريم إن لم تخبرني الآن كيف تعرف كل هذه الأمور عني لن أتحدث معك ثانية حتى أرحل، ولن آكل أو أشرب، نحن لم نتحدث في هذا الموضوع

أمام أي شخص، ولا يعلمه سوى أنا وهي وتامر فقط..كيف عرفت؟!!

= سأخبرك؛ لكن هذه آخر مرة تساومينني على شيء.. اتفقنا؟

- اتفقنا.

= كان والدك يعمل بمكتب المحاسبة بالنادي الرياضي القريب من بيتكم.

- بالتأكيد أعلم هذه المعلومة.

= صبرًا أيتها العجولَ دومًا.. كنت أتردد عليه كثيرًا بحجة اشتراك النادي والتبرع للنادي وأمور كهذه، حتى توطدت العلاقة بيننا، وأخبرني أن عنده فتاة جميلة، وبالطبع كنت أعرف فأعطيته حلقًا صغيرًا من الذهب الأبيض، وقلت له كان لأمي وأعتز به، ولأنك عزيز على قلبي مثل أبي سأعطيه لابنتك، فقد كان يومها يوم ميلادك كما أخبرني، ومنذ أن أعطاكِ إياه وأنتِ ترتدينه، وقد وعدني أنه لن يخبرك عن هذا الأمر شيئًا، وكأنه اشتراه لكِ، فقط أكد عليكِ ألا تخلعينه أبدًا.

وبحركة تلقائية وضعت يدي على أذني لأتحسس الحلق، وقلت له بصوت لا يكاد يخرج؛ وكأن أحبالي الصوتية قد قطعت كلها:

- هل ما أفكر فيه صحيح؟!

= نعم ولكن كان هدفي أن أحميكِ وأطمئن عليكِ ليس إلا.

- هل تتجسس عليَّ طوال ثلاث سنوات تقريبًا وتقول لي أحميكِ؟ تقتحتم كل شيء في حياتي حتى خلوتي وحدي وتقول أطمئن عليكِ؟ أنت وضيع.. أنت إنسان مريض فعلًا.

قلتها وأنا أتجه للمرحاض.. أغلقت بابه خلفي بكل قوة، حتى شعرت أنه تكسر لمائة قطعة.

جلست على حافة حوض الاستحمام أبكي، حتى شعرت أن صوت بكائي يصل لعنان السماء.

جاء صوته هادئًا كعادته ممتزجًا بنبرة حزن:

= لا تحزني، لم أكن أقصد أن أتجسس عليكِ بقدر ما كنت أريد أن أطمئن أنكِ بخيرٍ دومًا، ولا ينقصك شيء، خاصة بعد ما فقدتِ أباكِ، تعيشين وحدك في بيتٍ كبيرٍ.. فقط ليطمئن قلبي.. أرجوكِ اخرجي، هذا أقسى شيء أتحمله في الحياة.. أن أكون سببًا في حزنك أو دموعك.

وضعت يدي على النجمة المعلقة بالسلسلة، ماذا وضع بها هي الأخرى؟ هل بها كاميرا؟ أم جهاز تتبع؟ فمع كل هذه التكنولوجيا التي يمتلكها يمكنه أن يفعل أي شيء..نزعت الحلق والسلسلة وتركتهما جانبًا، ونزلت لأجلس على الأرض ممددة قدميّ أمامي.. ومسنِدة رأسي على الحائط.

أغمضت عينيّ لأراجع كل ما فعلته في أعوام مضت ظنًّا مني أنني وحدي، لم أجد شيئًا أسوأ من علاقتي بأحمد؛ هل كان يستمع لكل ما دار بيننا؟؟ صوت أنفاسي المتلاحقة على صدره؟!! قبلاته الساخنة وهي تلتهم جسدي؟! هل كان معنا في كل هذا لحظة بلحظة؟!!

كيف تحمل هذا إن كان يحبني حقًا؟ لمَ لم يثر أو يغضب كأي رجل؟ لمَ لم يبتعد وينسني؟

وكأنه يقرأ أفكاري، ويعلم فيما أفكر فجاءت كلماته:

= ذات اليوم الذي كنتِ تسهرين فيه مع أحمد في أحد الملاهي الليلية

شربتما حتى غبتما عن الوعي تمامًا، يومها تركك أحمد غير مدركٍ لتصرفاته، ورحل مع فتاةٍ أخرى لبيتها وأنتِ كنتِ فاقدة وعيكِ تمامًا.. أنا من أعادك للبيت يا "كارين" وليس أحمد، لكِ أن تتخيلي فتاة بجمالك فاقدة وعيها تمامًا في ملهًى ليلي.. ماذا كان سيحدث لها؟

قالها وصمت، صدمتني كلماته؛ فأنا حقًّا لم أعرف كيف عدت، حتى حين سألت أحمد كان لا يتذكر شيئًا مما حدث، ماذا لو لم يكن هناك كريم؟.. لكن لا.. هذا لا يعطيه الحق أبدًا في أن يتجسس عليَّ في كل كبيرة وصغيرة بحياتي.

لا أسامحه أبدًا عما فعله بي.. لقد كان اليوم شتاءً قارص البرودة حقًّا، مجردًا من المشاعر كافة، صادمًا بكل ما تعني الكلمة، وكأن جبلًا من الجليد بُني بيني وبين كريم.

نحن نسعى دومًا لمعرفة حقائق الأمور؛ وما إن نعرفها حتى تصدم عقولنا.. فلا نتقبل وجودها، ونتمنى لو لم نسعَ خلفها. فبعض الأسرار بقاؤها خفية أفضل بكثير من تحمل آلام صدمتها.

اليوم السادس

نيران القلب

قضيت الليل كله في سريري، أخفي وجهي بالغطاء، بعد أن ألح كثيرًا أن أخرج، حتى إنه أغلق الضوء داخل المرحاض ليدفعني للخروج، ولكنني أبيت أن أخرج، ولو سأظل في الظلام طوال الليل.. ففتح الباب تلقائيًّا ووعدني بأنه لن يتحدث ثانية إلا إذا طلبت منه أنا.

ليل طويل بارد، يتصف بهدوء مميت، حاولت طوال الليل جاهدة أن أتذكر من يكون "كريم"؟ لو فقط أمتلك هاتفًا، كنت تحدثت لـ " سما "؛ فهي تعرف كل من في دفعتنا.

لا أدري لمَ جاء ببالي أحمد في هذه اللحظة، كنت أشعر أنني أفتقده بشدة، قد يكون خائنًا، ولكن على الأقل لم يكن وغدًا مثل كريم.

ما هذا كله الذي أمر به في حياتي؟ إنني أحيا مأساة وليست حياة طبيعية مثل باقي البشر.. لمَ يحدث معي دومًا هكذا؟! لمَ كل من أحبهم يخدعونني؟ أو يرحلون بعيدًا عني بلا عودة؟

كانت الساعة تشير للخامسة حين أغمضت عينيّ وذهبت في نومٍ عميقٍ..

فتحت عينيّ على نيران تشتعل في كل شيء حولي، لا أجد مهربًا؛ فالغرفة بالرغم من مساحتها الكبيرة، إلا أنها لا مخبأ فيها ولا مخرج، نظرت باتجاه المرحاض.. لعلني يمكنني الوصول إليه وأغلق الباب جيدًا.. أو حتى أستخدم المياه في إطفاء النيران، ولكن كانت النيران تحيط بكل أرجاء الغرفة.

هل كريم من أشعل هذه النيران؟!! أين الأمطار والثلوج لتطفئها؟ هل رحل وتركني هنا بعد ما حدث؟

وما إن اقتربت النيران من السرير حتى اشتعلت فيه، لم أجد مفرًّا سوى الصراخ بصوتٍ عالٍ منادية على كريم:

- كريم.. كريم ساعدني.

وبدأت أشعر بالاختناق من رائحة الدخان، حتى سمعت صوت كريم يناديني بقوة:

= كارين..كارين هل تسمعينني؟

ظل يناديني، ولكنني لم أعد قادرة على الصراخ من شدة اختناقي، حتى شعرت بمياه تغرقني رأسًا لقدمٍ وكأنني في بحر؛ فانتفض جسدي بقوة من برودة المياه، وفتحت عينيّ لأجد أنه مجرد حلم انتابني في نومي، فبكيت من هول ما رأيت، كنت أشعر أن النيران ما زالت حولي، ولا أستطيع أن أتنفس، كنت أرتجف من البرد.. فملابسي مبللة من المياه التي سقطت من سقف الغرفة، وفي الوقت نفسه ذعر كريم ونداؤه المتكرر أربكاني بشدة..

لمَ ما زال هناك؟ لمَ لم يأتِ إليَّ؟

= كارين أنتِ بخير؟ كنتِ تحلمين وناديتُ عليكِ.. لكنك لم تسمعيني.. كنتِ تنادين اسمي وتصرخين.. ماذا حدث؟!

كنت ما زلت تحت تأثير الحلم، أشعر بالخوف.. ولكنني لم أجِبه.. شعرت بدرجة حرارة الغرفة ترتفع، وأرسل لي ملابس جافة؛ فتمالكت نفسي وقمت لأبدل ملابسي المبللة، وما إن عدت حتى وجدته بدل السرير بآخر، قلت وصوتي يرتجف:

- أريد قهوة وسجائر.

فأرسل لي كوبًا من الحليب الدافئ وكأنه يستفزني، ألقيت به على الحائط صارخة في وجهه:

- قلت قهوة وسجائر.. ألا تسمع؟

لا أدري لمَ كل هذا الغضب، ولكنني كنت حقًّا أحترق، بدا الحلم واقعًا أكثر من مجرد حلم، ما زلت أشعر بطعم الدخان في حلقي.

لم يقل أي شيء، فقط أرسل لي فنجانًا من القهوة وسجائرَ.

جلست في توتر إلى المنضدة أحاول تهدئة نفسي، وما إن أشعلت السيجارة ومع أول نفس منها نظرت للدخان الكثيف المتصاعد من فمي في سقف الغرفة، وقلت:

- "أريد أن أكلم أحمد الآن.. الآن".

= اهدئي يا كارين.. لمَ تريدين أن تتحدثي معه.. هل نسيتِ ما فعله معكِ؟!!

- ما فعله لا يضاهي شيئًا مما فعلته أنت.. أنتم لا تفكرون إلا في أنفسكم، وكيف تشبعون رغباتكم بطريقةٍ أو بأخرى، أما أنا فتبًّا لي ولمشاعري.

= كارين أنتِ...

فقاطعته ولم أعطه فرصة للكلام قائلة:

- لا أريد أن أسمع أي شيء يا كريم، يكفي ما قلته.

لم نتحدث لباقي اليوم.. وكان كلما أرسل لي طعامًا لا أتناوله تكوّرت في سريري وأعطيت الغرفة ظهري.. ووضعت الوسادة الصغيرة فوق رأسي.. ولم ألتفت لأي شيء يفعله محاولًا لفت انتباهي، فمرة أسمع عزف موسيقى، ومرة يشغل أغانيّ المفضلة، مرة تلفاز، وأخرى الأضواء.

كنت أشعر بكل شيء ولكن دون حراك مني، فإذا كنت ستحتجزني عشرة أيام فلن تجد سوى جثة هامدة أمامك.

❊ ❊ ❊

ليس هناك أسوأ من أن تمر الأيام هائمة، لا تدرك فرقًا بين ليلٍ ونهار، لا تشعر بقيمة أرض تحت قدميك، أو سماء تظلك.. فكل الأمور سواء بداخلك.. عالمك كله تجسد في كتلة من الألم.. تسكن بين أضلعك لن تبرح مكانها حتى يأتيك اليقين.

اليوم السابع

زهور شائكة

دقات متتالية لساعة تعلن العاشرة.. أول مرة أسمع صوت دقات الساعة هنا، وكأنه يريد أن يخبرني بأن الوقت كاد أن ينفد منه، أو أنه فقط يريد أن يوقظني، ولا داعي لكل هذه السفسطائية في تفسير الأشياء.

اخترقت أنفاسي رائحة عبير الزهور.. تلك الرائحة التي تشمها فقط في فصل الربيع. فنظرت خلفي لأرى الغرفة بأكلمها ممتلئة بشتى أنواع الزهور.

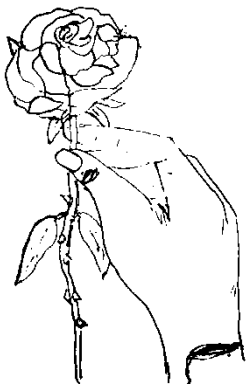

إذن فقد عاش معي الخريف بهدوئه والشتاء بثورته، وها هو يعلن عن استسلامه بزهور الربيع..

كنت ما زلت غاضبة من كل ما حدث.. وإن كنت قد هدأت نسبيًّا.

ثلاثة أيام وينتهي كل هذا، كانت مغامرة لم أتوقعها، هل سأشتاق لهذه الأيام؟ هل سأفتقد نبرة صوته؟ لا أدري.. ولكن ما أثق به هو أن هذه الأيام أثرت بشدة في كل شيء يتعلق بحياتي، كشفت لي عن أمور كثيرة لم

أكن على علم بها.. سأخرج من هنا إنسانًا آخر ولد من جديد؛ تعلّم ألا يثق بظواهر الأمور، وأن هناك دائمًا وجهًا آخر لكل شيء في هذه الحياة، فلا بد أن أتمعن النظر جيدًا قبل الحكم على أي شيء سابقًا.

غسلت وجهي وأشعلت سيجارة من علبة السجائر التي خبأتها في جيبي أمس، لم أنفث منها شيئًا؛ ولكن كنوع من العند والاستفزاز.

أمسكت الريموت وظللت أمرر بين القنوات دون التركيز فيما يتم عرضه.. فقط أغير القنوات، رفعت صوت التلفاز لأعلى درجة ليكون على يقين أنني لا أريد أن أسمع منه شيئًا، ولا أريد الحديث معه حتى ينتهي ما تبقى من أيام.

احترقت السيجارة بأكملها دون أن أنتبه لها، حتى كادت تحرق إصبعي فأطفأتها لأشعل غيرها.. ليعاندني هو؛ فكلما حاولت أن أشعل السيجارة يأتي تيار هواء قوي يطفئ نيران قداحتي.. مرة اثنتين.. ثلاث. ألقيت بالقداحة بعيدًا دون أن أتفوه بكلمة واحدة.

ألقى صباح الخير عابرة وهو مدرك أنني لن أهتم أو أرد عليه..

غيّر كل الجدران لزهور تتفتح ببطء، كتلك التي نشاهدها على قناة (ناشيونال جيوغرافيك) وكأنني أجلس في حديقة.

تجاهلت تمامًا كل محاولاته للفت انتباهي، وركزت نظري على قنوات التلفاز وهي تمر أمام عيني.. فوجدت مؤشر صوت التلفاز ينخفض لأقل درجة.. تريد أن تلعب إذن..فرفعته لأعلى درجة.

بدل القناة وظل يغير القنوات مثلما كنت أفعل، ولكن بسرعة للغاية مما زاد من عصبيتي.

أغلقت التلفاز قائلة بصوت عالٍ:

- أتمنى أن تهدأ الآن!!

خرج درج من مكانه به طعام الفطور وباقة زهور فأعدت الدرج مكانه بقسوة:

- لا أريد منك شيئًا.

فُتح درج آخر وقبل أن أغلقه لفت انتباهي ما به.. فوقفت متسمرة مكاني؛ كان به علبة صغيرة مفتوحة بها خاتم ..

أعرف هذا الخاتم جيدًا.. كان الخاتم لأمي.. أهدته لي في عيد ميلادي العاشر.. وفي إحدى نوبات مرض أبي لم يكن معي ما يكفي من مال لأسدد للمشفى؛ فبعته على مضض وأنا أبكي.

أخذت الخاتم برفق وتفحصته جيدًا، إنه هو حقا.

جلست صامتة.. لا أدري هل أشكره أم أصرخ بوجهه الذي لا أراه؟

بصوت دافئ يملؤه الإحساس بالندم قال:

= أنا من اتصل بكِ حين كنتِ مع صديقاتك وأخبرتك أن أباكِ مريض ونقلته للمشفى.

وظهرت أمامي صور لي وأنا جالسة بجوار أبي في المشفى.. أبكي وأنا ممسكة بيديه.. وصور أخرى بعدما تحسن ونحن خارجان على درج المشفى

فقد كان أبي مريضًا بالقلب، حين توفيت أمي وأخي أصيب بأول نوبة قلبية حينها من قسوة الأزمة التي عاشها فلم يتحملها قلبه.

كم أفتقده! لو كان معي الآن.. ما كان حدث لي كل ما مررت به في حياتي.

- لا أريد أن أسمعك، ولو هناك أي شيء آخر تخفيه عني احتفظ به لنفسك، لا أريد أن أعلمه ..أنا أكرهك.

= مهما قلت لكِ فليس هناك ما يبرر ذنبي، وإن كان اعتذاري سيغير شيئًا سأظل أعتذر لكِ حتى مماتي.

- "لا أريد منك أي اعتذار، ولا أن أراك، أو أسمع عنك ما دمت حية..

هل استمتعت وأنت تتجسس عليَّ؟

كنت راضيًا وأنت تستمع لكل تفاهاتي ومحادثاتي ؟؟

هل أشبعت نزواتك أصواتي وأنا أتأوه بين يدي أحمد؟ وأنا أصرخ له ألا يتوقف..

وبالطبع تعرف علاقتي بوليد الذي التقيت به صدفة في أحد الكافيهات..

لعلك أنت من جعله يختفي من حياتي فلم يكن اختفاؤه مبرَّرا مطلقا..

أخبرني ماذا فعلت له؟

كيف غيرت كل شيء يحيط بي ليكون وفقًا لأهوائك وعلى طريقتك؟

أنت كنت تتحكم فيّ وكأنني دمية، تحركها كيفما تشاء".

= أنا كنت أحميكِ من نفسك.. من ضعفك.. كنت دومًا بجوارك.. أسندك حتى لا تقعي.

فضحكت ساخرة:

- ومع ذلك وقعت.. مهما بلغ نفوذك وقوتك فلن تستطيع منعي من شيء أريده.. أنت حقير مريض لا تهتم إلا لنفسك وإرضائها حتى لو على حساب الآخرين.

كان يسعل بقوة، وكأنه لم يستطع أن يتمالك نفسه، كاد أن يقول شيئًا.. ولكنه صمت.

مر أكثر من ساعة؛ لا أدري أين ذهب أو ما حدث، بالرغم من ألمي وغضبي منه إلا أنني شعرت أنه أصابه مكروه أو أزمة ما، لعلّه مريض ربو أو بالقلب..

ناديت عليه عدة مرات ولكن لا يجيب.

مرت خمس ساعات على آخر مرة تحدث فيها.. كنت أشعر بالجوع، فقد مر يومٌ كاملٌ وهذا الثاني دون أن آكل شيئًا، ولكن ليس هذا هو المهم.. ماذا لو مات فجأة، ما هو مصيري؟ كيف سأخرج من هنا؟ هل يعلم أحد غيره بمكاني؟

على الأقل هناك أزهار يمكنني أن آكلها حتى ينقذني أحد.

في تمام السابعة مساءً فتح أحد الأدراج، كان بداخله طبق به بعض الخضروات وقطعة دجاج وكوب عصير.

- كريم.. أين أنت؟؟ هل أنت بخير؟ كريم.. لمَ لا تجيبني، لقد تركتني طوال اليوم وحدي.. أين ذهبت؟؟ هل أنت مريض؟

لا رد، ولا حياة لمن تنادي، أخذت الطبق وأنا أنظر إليه. بالرغم من شدة جوعي إلا أنني أشعر أن هناك غصة في حلقي؛ لا أريد أن أتناول أي شيء.

وضعت الطبق جانبًا.. وأخذت قداحتي من الأرض وأشعلت سيجارة، كنت أسير في الغرفة ذهابًا.. وإيابًا أشعر بالتوتر.. ساعة كاملة على هذا الوضع لا أستطيع أن أهدأ.

لا بد أن أكون صادقة مع نفسي، كنت أشعر بقلقٍ شديد عليه.. حتى أهلكني التعب.. وشعرت بالإرهاق، فشربت كوب العصير على دفعة واحدة وألقيت بنفسي على السرير.. أنظر لكل هذه الزهور التي تحيط بي وكأنني جثة في تابوت، كل من يمر بها يترك بجوارها زهورًا.. أغمضت عينيّ في محاولة لتهدئة عقلي قليلًا.

لا أدري كم من الوقت مر وأنا على هذا الوضع، لكنني فتحت عينيّ على صوت كريم الضعيف، لا يكاد يكمل الكلمة:

= كارين.. أنتِ بخير؟؟ أنا آسف تأخرت عليكِ.

- تأخرت فقط؟! ماذا لو مت أنت؟؟ هل أموت أنا أيضًا حبيسة هنا؟

بعد ما خرجت كلماتي كالمدفع لا حاكم لها شعرت بخجل شديد.. كم أنا أنانية! فأنا أعلم أن ما حدث له كان رد فعل لقسوة كلماتي، والآن أزيد الأمر سوءًا بتلك الحماقات التي ينطقها فمي.. هل هذا هو كل ما يهمني نفسي وفقط؟!

فقلت بهدوء وبنبرة تمتزج بالحنان:

- أنا آسفة.. لكن قلقت عليك جدًّا. ماذا حدث لك؟ كلامي السبب.. أليس كذلك؟

= لا كارين.. أنتِ معك حق فيما قلتِه، أنا كنت أنانيًّا لأقصي درجة؛ لم أفكر إلا في نفسي.

قال جملته ببطءٍ لينهيها بسعالٍ شديدٍ مغلقا الصوت حتى لا أسمعه.

شعرت بالأسف نحوه، إلى أي مدى مرضه.. تذكرت أبي حينما كان يصاب بالأزمة القلبية، أقف حائرة.. أموت من قلقي عليه وليس بيدي

حيلة.. تذكرت آخر أزمة له حين أخبرنا الطبيب أن حالته متأخرة، ولا بد من إجراء عملية قلب مفتوح له خلال يومين على الأقل.. وأنا أبكي ليلًا؛ من أين سأدبر مائة ألف جنيه لإجراء العملية.. كنت كلما زرته في المشفى أعود محملة بالهموم، فلا أملك سوى أن أبيع البيت، ولا يهم ماذا سيحدث بعد ذلك. لهاتفني الطبيب في اليوم الثاني بأنه سيجري العملية له في الغد؛ فحالته تزداد سوءًا، وكطبيب مهنته هي إنقاذ حياة المريض التي هي أهم من أي مال.

وبالفعل أجرى له العملية، ولكن لم يتحمل قلبه، ورحل عني بعد يوم من إجرائها.

مر شريط مرض أبي أمام عيني في لحظة، حين شعرت بمرض كريم.. كريم، لا بد أنه كان يعلم بكل هذا.. كريم هو من دفع ثمن إجراء العملية لأبي.. كيف لم أنتبه لهذا من قبل؟، فقد كان معي لحظة بلحظة في كل شيء؛ إذن مكالمة الطبيب كانت بناءً على تعليمات كريم.. نعم إنه كريم.. قلتها هذه المرة بصوتٍ عالٍ:

- أنت من دفع للمشفى لإجراء العملية لأبي، أنتَ.. أليس كذلك؟!!

قال متحاملًا في كلماته وكأنه يدفع جبلًا من مكانه:

= بلى.. يا كارين كيف يمكنني أن أتركه هكذا من أجل حفنة نقود؟!، ما قيمة المال إذا لم ينقذ حياة من نحبهم؟! كيف أراكِ هكذا وأتركك؟ ولو كان يمكن أن أعطيه قلبي ما ترددت لحظة واحدة.. فقط لا تبكي أنتِ.

لم أعد أعلم هل أنا غاضبة منه أم شاكرة له؟ هل أشكره أم ألعنه؟ ولكني واثقة أن ما فعله من أجلي لا يمكن أن يفعله أحد على مر الزمن..

هذا الرجل عشقني حقًّا بكل جوارحه، لا يتردد لحظة في أن يفديني بحياته.

- أنا آسفة كريم.. على كل ما قلته لك حقا آسفة من كل قلبي.

أخذت زهرة ومددت يدي له بها:

- هذه لك، فهي كل ما أملكه حاليًّا، وإن كانت لك.

وضعتها له في الدرج، فقال بصوت حنون:

= أجمل ما في هذه الزهرة أنها لامست يدكِ.. هذه أجمل هدية قدمت لي.. وأغلى ما أملك.. ستظل معي حتى يوم مماتي..

هناك أشياء قد تبدو بسيطة ولكن تحمل في طياتها الكثير والكثير من المعاني والتي لا تقدر بثمن.

❊ ❊ ❊

هل يمكننا أن نغير أقدارنا؟!

نعم.. حين تصدق نفسك..

وتثق أنه يمكنك أن تغير حياتك..

حينها فقط يمكنك أن تغير قدرك.

اليوم الثامن

شمس لا تحترق

كما توقعت فاليوم بدايته صيف، ارتفاع طفيف في درجة حرارة الغرفة، الجدران توحي لك بأنك تجلس على شاطئ في إحدى الجزر.

كرة مجسمة في أعلى الغرفة تبدو كشمس متوهجة في منتصف النهار، وما إن وضعت قدميّ في الأرض حتى شعرت بحبيبات الرمال تتخلل أصابع قدمي..

أفتقد هذا الشعور؛ فمنذ زمن لم أذهب للشاطئ، جلست على الأرض لأصنع أشكالًا بالرمل كطفلة صغيرة غير مبالية بشيء.

= تبدين رائعة وأنتِ تلعبين في الرمال..

- يمكنك أن تأتي لتلعب معي إذا شئت.

= يمكنني أن أرسل لك شيئًا يساعدك.

فأرسل لي دلوًا بلاستيكيًّا وفرشاة وجاروفًا كتلك التي يلعب بها الأطفال على الشاطئ، فضحكت قائلة:

- لست صغيرة لهذا الحد، ولكن صراحة إنه شعور ممتع أن تستعيد طفولتك.

= ألا تتناولين فطورك أولا؟

- لست جائعة.

= ألا تلاحظين شيئًا؟! لم تطلبي قهوة منذ يومين.

- لم أعد في حاجة لها.. لقد تغيرت اهتماماتي..

ثم صمتُّ قليلًا وقلت:

- أنت تعلم عني كل شيء.. وأنا لا أعرف عنك شيئًا ..احكِ لي عنك.

= من أين تريدين أن نبدأ؟

- احكِ لي عن طفولتك.. عائلتك.. كل شيء.

= "أنا يا أميرتي طفل وحيد.. كانت أمي مريضة، أصيبت بمرضٍ يجعل جهاز المناعة لديها يهاجم الجسم، وسافر أبي معها لأكثر من دولة بحثًا عن علاج، ولكن كان المرض غير معروف جيدًا حينها؛ ولم يجد سوى بعض الأدوية التي تحد من مهاجمة جهاز المناعة للجسم لفترات مؤقتة..

عانت كثيرًا في حياتها، ولكن كان يهوّن عليها عشق أبي غير المتناهي لها، لذا كانت لا تريد أن تتركه وحيدًا، فقد كانت تعلم أن عمرها قصير.. وما إن حملت فيّ حتى نبهها الأطباء إلى مدى خطورة الأمر على حياتها.. بل حياتي أيضًا.. ولكنها كانت تثق في الله كثيرًا وكانت مصممة على أن تكمل حملها، رغم محاولات أبي المستميتة معها لكي تجهض الجنين، ولكنها رفضت بكل ما أوتيت من قوة، وجئت أنا للدنيا لترحل هي، لم أرَ سوى صورها المعلقة على جدران منزلنا.

رفض أبي الزواج؛ فكان دومًا يقول: "لم يعد لدي ما أقدمه لامرأة أخرى.. فكل ما أملكه من مشاعر قد أخذته أمك معها".

كان لي أبي هو الأب والأم، حتى استيقظت في يوم لأجده قرر الرحيل دون سابق إنذار.. فجأة لم يعد موجودًا؛ تاركا لي أموالًا لا حصر لها، وشركة كبيرة لا أعرف حتى كيف أذهب إليها، كنت حينها في الثانية عشرة من عمري. بالرغم من كل ما أملك من مال يجعلني أحيا حياة الملوك، إلا أنني كنت خائفًا وحيدًا، رزقني الله بعم "شريف" كان ذراع أبي الأيمن، رجل لا مثيل له في طيبته وأمانته.. رعاني واهتم بي كأبنائه حتى كبرت وكبر هو أيضًا ولم يعد قادرًا على العمل، ولكنه قبل أن يترك الشركة علمني كل شيء.. بالرغم من صغر سني إلا أنه كان يشهد بذكائي ورجاحة عقلي"..

فقلت له مازحة:

- ذكاء ورجاحة عقل..أين؟!! لا أراك إلا مجنونًا.

= أشكرك على هذا المديح.

- عفوًا عفوًا.. هذا أقل ما يمكنني قوله.

فتعالت ضحكاتنا والتي تخللها سعال كريم ليغلق الصوت.. ناديت عليه فلم يجب، فتركت الرمل ووقفت مذعورة أناديه:

= اهدئي.. أنا بخير.

قالها ببطء وكأنه يكتم آلامه.

- كريم.. هل ورثت المرض من أمك ؟!

فسكت قليلا ثم قال :

= يا كارين.. أنا بخير فقط نوبة سعال طالت معي.. آخذ علاجًا لها بانتظام.. ولكن الطبيب أخبرني أنه غالبا ما يطول السعال.

- حمدا لله أنك بخير.

= هل تخافين عليَّ؟

- بعد كل ما فعلته فيّ.. لا. بعد كل ما فعلته من أجلي.. نعم وبشدة.. أنا اكتشفت أنني أنا من كانت في حاجة لتلك العشرة أيام ولست أنت، مهما وصفت لك وحاولت أن أشرح ما بداخلي لن تقدّر إلى أي مدى فرقت معي تلك الأيام التي عشتها هنا.

= وهو كذلك.. فلنكمل اليوم.. خذي هذه الملابس ارتديها واستعدي.

- أستعد لماذا؟

فتح الدرج فإذا به ثوب سباحة..فنظرت باندهاش قائلة:

- هل سأسبح في الرمال؟!!

= بدّلي ملابسك ويكفي أسئلة.

قال هذا وبدأت الأرضية تسحب كل ما بها من رمال بشكل تدريجي.

كنت أبدل ملابسي وأنا أفكر في حياته التي تشبه حياتي؛ فقد كل من أحبهم، عاش وحيدًا عمره كله.. يا له من مسكين!!

ما إن خرجت حتى غمرتني المياه كأنها شلال مندفع، كان كل ما في الغرفة قد اختفى وحلت محله المياه.. ليقول كريم مازحًا:

= أريدك أن تستمتعي بكل لحظة من وقتك هنا.

لم أكن أصدق ما أراه، وكأنني في حوض استحمام كبير.. كنت أطفو على المياه وأغطس وأنا أصرخ فرحة:

- كريم، أريد سمكة قرش من فضلك هنا.

قلتها مازحة وأنا أغطس.

قال لي:

= هذا أمر هين.

لأجد مجسمًا ثلاثي الأبعاد لسمكة قرش ضخمة كنت أعبر من خلالها وأنا أصرخ قائلة: دولفين أيضًا.

فضحك قائلًا:

= أسهل أن ألقي بك في البحر الأبيض وأتركك تقررين مصيرك بنفسك مع سمك القرش.

هناك أوقات تمر بنا نشعر فيها بسعادة حقيقية من قلبنا.. أمور بسيطة غير معقدة، ومشاعر سلسة ليس بها تكلف أو تعقيدات، تلك الأشياء لا تعوض ولا تتكرر.

❊ ❊ ❊

كل ما مررت به سيمضي بكل ما فيه من ألم وأسًى، ولن يبقى لك سوى جسد أنهكه الجراح، وروح محطمة من بقايا الذكريات.. لكن لا تستسلم أبدًا. احمل رمحك وحارب الحياة من جديد.. أنتَ لها.

اليوم التاسع

ظلام مميت

ثمانية أيام مرّت وكأنها لحظات.. كيف يتحكم بنا الوقت بهذه الطريقة؟!! فأحيانًا نحيا أيامًا بطيئة متثاقلة، وتمر الساعة وكأنها دهر، وأوقاتًا أخرى تمر الأيام وكأنها طلقات مسرعة، لا يمكن لأحد أن يوقفها بعدما انطلقت.

نِمت أمس جثةً هامدةً؛ فلم أسبح منذ فترة طويلة.. كنت أشعر كأن جسدي مفكك، وحتى الآن ما زلت أشعر أنني لا أقوى على تحريك عضلاتي. كانت الغرفة قد عادت لسابق عهدها، جفت المياه.. وكل شيء عاد لطبيعته.. لقد اعتدت الحياة هنا وكأنني في بيتي، دخلت المرحاض، غسلت وجهي ورتبت شعري، لأول مرة أنظر للمرآة وأشعر أنني في حاجة لأن أتجمل؛ فوضعت أحمر شفاه.. بدلت ملابسي.. وخرجت منتظرة "كريم" أن يستيقظ، فالساعة ما زالت التاسعة صباحًا.

جلست أمام التلفاز أشاهد فيلم "love in the time of cholera" أعد هذا الفيلم من أفلامي المفضلة.. كنت أرى أن حب "فلورنتينو" لـ "فيرمينا" ليس مجرد حب، ولكنه كان مريضًا بها لدرجة أنه انتظرها واحدًا وخمسين عامًا حتى يموت زوجها ليتزوجها.

انتهى الفيلم.. كانت عقارب الساعة تشير للعاشرة والنصف.. ولم يأتِ كريم بعد.

هل كريم مريض بي مثل "فلورنتينو"؟

طردت تلك الأفكار من عقلي، وناديت على كريم بصوت عالٍ:

- كريم، استيقظ، يكفيك نومًا.. أنا جائعة جدًّا.

رغم كل تلك التكنولوجيا التي كلفته ملايين.. لم يفكر في أن يصنع لي جرسًا أضغط عليه حين أريد شيئًا!! كان يجب أن أدخر قطعة بيتزا من التي تناولتها أمس تحت وسادتي لليوم.. على الأقل كانت سدت جوعي الآن.

- يا كريم.. أين أنت؟

لم يكن لدي حل سوى التلفاز أقتل به الوقت حتى يعود.. لعل هناك أعمالًا معلقة لديه ينتهي منها.

كنت أشاهد التلفاز وعقلي يسبح في مكان آخر، في أعماق قلبي أشتاق أحمد.. أشعر بحنين نحوه.. أتمنى أن أراه.. وعلى النقيض عقلي يرفض وجوده، ولا يريد أن يراه مرة ثانية، من سينتصر فيكما حين أخرج من هنا؟ ليقطع حبل أفكاري صوت كريم الذي بدا عليه التعب الشديد كنت لا أكاد أسمعه:

= كيف حالك كارين؟ لقد تأخرت عليكِ.

وأرسل لي الكثير من الأطعمة المختلفة، لأول مرة يرسل لي هذا الكم؛ فنظرت للطعام وقلت له :

- ماذا بك؟ ولمَ كل هذا الطعام ؟

لم يجبني إلا بعد عدة دقائق هامسًا:

= أنتِ جميلة جدًّا اليوم.. أجمل ما رأت عيناي هو أنتِ.

شعرت بالخجل واحمرت وجنتاي وقلت له:

- تبدو مريضًا، لمَ لا تذهب لطبيب؟ حالتك تسوء كل يوم عما قبله.

= لا تقلقي حبيبتي.. وجودك إلى جواري يحييني.

لم أعرف بما أجيبه، وكان الصمت ردي فأكمل بصعوبة:

= أنا أحبك.. أحبك أكثر مما يمكن أن يصور لكِ خيالك؛ لذا كل ما فعلته كان بدافع الحب وليس أي شيء آخر.

- أرجوك يا كريم.. اذهب لطبيب.. اتصل بطبيب يأتِ إليك لكن لا تظل هكذا.. لا أريد أن أفقدك.. أعدك سأنتظرك هنا حتى تعود.. فقط كن بخير.. لأجلي.. ليس لي الآن أحد سواك.

= لا يا كارين، أحمد ينتظرك، لا بد أن تعودي إليه، ابدئي معه حياتكما من جديد، وانسي كل ما حدث، اغفري له، وأرجوكِ أن تغفري لي.

- أنا أسامحك على كل شيء.. فقط كن بخير، أما أحمد فقد مات بداخلي، ولا مكان له بعد ما حدث.

= لا يا كارين، أحمد يحبك.. سأخبرك بكل شيء، ولكن عديني أولًا أن تغفري لي.

- أعدك أن أغفر لك كل ما قلت وكل ما ستقول.

= "أنا من أرسل تلك الفتيات التي رأيتِ صورهن مع أحمد، كنت أريد أن أتأكد من حبه وولائه لكِ حتى أكون مطمئنًّا عليكِ.. ولكنه كان في كل مرة يشرب حتى يغيب عن عقله تمامًا؛ ولا يدرك ماذا يفعل معهن.

لم أكن أنوي أن أرسل لكِ تلك الصور، وكنت سأبعده عنكِ بطريقتي، ولكن الغيرة دفعتني لفعل ذلك؛ غصبًا عني مشاعري تملكتني.. لكن أحمد يحبك حقًّا، إنه يبحث عنكِ في كل مكان.. أرسل إليكِ مئات الرسائل يرجوكِ أن تعودي.

أخبرته أنكِ عند أحد أقاربك خارج البلد لمدة عشرة أيام، حتى يطمئن ويهدأ.. رأيت في عينيه حبًّا صادقًا لكِ..

لا أدري ما الذي يمكن أن يحدث حتى الغد، ولكن ستأتي نفس السيارة غدًا لتعيدك لبيتك..

اتركي الحلق هنا، فلا قيمة له بعد الآن، كل شيء تمنيته في يومٍ ما ببيتك.

كوني بخير دومًا واعتني بنفسك من أجلك.. سامحيني على كل شيء".

كان يتحدث والدموع تنهال على وجهي وكأنه يودعني، لا أدري هل أفرح لأنني تأكدت من حب أحمد، أم أبكي على حب كريم؟.. موقف لا تتمناه أي فتاة.. كان قلبي يتمزق بداخلي، حاولت أن أتمالك نفسي قائلة :

- لست غاضبة.. ليس اليوم.. فقط كن أنت بخير من أجلي.

= لا تبكي يا كارين أرجوكِ، فبكاؤكِ يقتلني.

- افتح لي الباب.. أريد أن أخرج.. افتح لي الآن بالله عليك.. لا تتركني هكذا.

= غدًا سيفتح الباب تلقائيًّا حتى لو لم أكن موجودًا، سيفتح.. لا تقلقي.. ستكونين بخير.

- نحن اليوم وليس غدًا.. افتح لي.

قلتها وأنا أصرخ بطريقة هيستيرية وألقيت بكل شيء أمامي على الأرض، الطعام والأطباق.. حملت كرسي المنضدة وظللت أكسر به في الحائط وأنا أصرخ بشدة حتى يفتح لي.

فقال بصوت واهن:

= اهدئي أرجوكِ.. أرجوكِ.

- سأهدأ حين تفتح لي.

ثم نظرت للأرض؛ كانت هناك قطعة زجاج كسرت حين حطمت الجدران بالكرسي، فأخذتها بسرعة ووضعتها على رسغي قائلة:

- هل ترى هذا؟ إن لم تفتح حالًا سأقطع شراييني.. افتح الباب.. الآن.

وكان رده بأن جزءًا من الجدار تم سحبه للخلف أتوماتيكيًّا، ليظهر باب من المعدن مفتوحٌ على ممر طويل مضاء أمامي، خرجت مسرعة من الغرفة متجهة نحوه.. ولكن أين هو؟

كان المكان أكبر مما يمكن لأحد أن يتخيله، وكأنه بُني خصيصى من أجل هذه الغرفة.. فصرخت وأنا أجري:

- أين أنت؟

= اتبعي الضوء ستصلين لي.

سرت مسرعة خلف الضوء حتى التقطت أنفاسي وأنا أقول:

- ألم تفكر أن تحضر "سكوتر" يومًا لهذا الممر؟!

وجدت في نهاية الممر ساحة كبيرة بها صناديق كثيرة، لم أشغل بالي بما فيها.. فقط اتبعت الضوء الذي يشير لسلم طويل جانبي..

صعدت عليه ووقفت لألتقط أنفاسي قليلًا، ونظرت لأسفل.. فتذكرت ذاك الحلم حين كنت أهبط درجات السلم.. كريم من كان يطلب مساعدتي حينها إذن، أكملت طريقي دون توقف، وكأنني ألتفُّ مرة أخرى حول الممر.. ولكن هذه المرة من الطابق العلوي لأجد غرفة بابها مغلقًا.

طرقت الباب وأنا ألتقط ما تبقى لي من أنفاس، ثم فتحت دون أن أنتظر ردًّا لأدخل.. وقفت ثابتة في مكاني وأنا أتأمل ملامحه.

يا إلهي!! إنه هو.. آخر شخص توقعت أن أراه في حياتي.. إنه ذاك الشاب الذي كان يأتي الجامعة على كرسي متحرك.

دخلت بخطوات هادئة وأنا أحاول أن أتمالك دهشتي، اقتربت منه راسمة بسمة على شفتيّ وأنا أهمس برفق :

- كيف حالك؟

لم أجد سوى هاتين الكلمتين في عقلي كله حينها، كان نائمًا على السرير، نصفه العلوي عارٍ تمامًا لتتصل به العديد من الأجهزة التي لا أفهم منها شيئًا، على وسادته تلك الزهرة التي أعطيتها له.

فابتسم لي وكأن الابتسامة أرهقته؛ فلم يستطع أن يجيب على سؤالي، ولكنني اكتفيت بتلك البسمة.

جلست بجواره دون أن أتفوه بكلمة واحدة، أمسكت يده برفق خشية تلك الأسلاك المتصلة به، وربت عليها بلمسة حانية.. كنت أشعر ببطء نبضه بين يدي.

كان شعره طويلًا.. غير مرتب.. يميل للون البني.. ولحيته طويلة، وكأنه لم يهذبها منذ فترة، عيناه الزرقاوان يملؤهما حب لم أشعر بمثله من قبل..

فقلت له مازحة وإن كنت لا أرى هذا وقتًا مناسبًا للمزاح:

- أنتَ جميل.. فلمَ رفضت أن أراك حين طلبت منك؟

فهز رأسه هامسًا :

= لم تريني من قبل، فما فائدة رؤيتي الآن؟؟

- كريم.. لا أدري ما مرضك، ولا لمَ كل هذه الأجهزة، ولكن سأطلب الطبيب حالًا، وستتحسن حالتك، وستكون بخير.. اتفقنا؟

= كارين.. أنا أحتضر، وجودك بجواري هو ما أعطاني القوة لأعيش حتى هذه اللحظة، لكن لا فائدة من الطبيب الآن، لم يتبقَّ لي الكثير من الوقت، ولا أريد أن أرى غيرك.. أريد أن أغلق عينّي على صورتك.

- كريم.. أرجوك، هناك دومًا أمل، أنت قلت إنك لم ترث المرض عن أمك.

= لم أرثه هو فقط، بل كان ضعفها سببًا في الكثير من الأمراض الأخرى.. انتهى الأمر، لا أريد أن أرى دموعك يا كارين، لا تجعلي آخر ما أراه أكثر شيء يؤلمني.

- لا.. أنا لا أبكي، أنا بخير، فقط فلنحاول أن...

= هششش.. لا تقلقي، أنا بخير فقط كوني بجواري.

- أنا معك، لن أتركك أبدًا، سأظل بجوارك إلى الأبد.. ليتك تحدثت معي منذ أول يوم التقينا فيه على باب الجامعة.. إنني أذكر ذلك اليوم جيدًا، لمَ افترضت أنني سأرفضك؟ لمَ توقعت ما لم أخبرك به؟ تقول إنني لم أرك قط.. كنت دومًا أتطلع لك، ولكن أخشى أن تؤلمك نظراتي فتظنها شفقة أو عطفًا.. كم تمنيت أن أدعوك لتجلس معنا، ولكنني كنت دومًا

أراك وحدك فكنت أخشى أن نفرض أنفسنا عليك، كثيرًا ما كنت أحكي عنك وعن قوة إرادتك، لكنك أنت من ابتعد عنا جميعًا، لم تسمح لأحد أن يقترب منك طوال أربعة أعوام.. لمَ؟ على الأقل كنا سنكون أصدقاء.

= وما الفائدة من صداقة الموتى؟ كنت أعلم أنني على حافة الرحيل؛ فلم أرد أن يبكي أحد على فراقي، أو يتألم بسببي.

- منطق مرفوض كليًّا.. نحن لا نعلم من سيعيش ومن سيموت.. قد أكون أنا التي ستموت اليوم وليس أنت، نحن نحيا اللحظة التي نحياها، وغدًا هو ملك الله وحده.

= لقد مدّ الله في عمري حتى أطمئن عليكِ.. أنتِ كنتِ سببًا كافيًا لأتمسك بالحياة يا كارين حتى آخر نفس.

اقتربت منه برفق، ووضعت قبلة على جبينه قائلة:

- أنا معك.

= عديني ألا تبكي.

- لن أعدك؛ فأنا أبكي بالفعل.. قلبي يبكي يا كريم.. هل فَرض عليَّ أن يسلب مني الموت كل من أحبهم؟ هل الموت هو رفيق دربي في هذه الحياة؟ لا أريدك أن ترحل.

= لن أرحل، سأظل معكِ في كل مكان، هنا بقلبك سأسكن، لن تصعد روحي للسماء، بل ستظل معلقة بكِ، ستجدينني في كل شيء حولك، ستشعرين بي حين يأتي الخريف وتتساقط أوراقه، وحين تلمس الأمطار وجهك في الشتاء، ومع أول زهرة تتفتح في فصل الربيع، وفي كل موجة بحر في فصل الصيف سترينني، كلما نظرتِ للشمس في السماء، وكلما سرتِ

حافية على الرمال، أنا لن أتركك لحظة واحدة، كلما لامستِ تلك النجمة المعلقة بعنقك ستشعرين بي.

اقتربت أكثر منه حتى شعرت بدفء جسده؛ لأنام بجواره.. وضعت رأسي على جبينه، تمنيت في هذه اللحظة أن أموت معه، فقلت له:

- كريم أريد أن أرحل معك، لا تتركني.

= لا تفكري ولو للحظة فيما تفكرين فيه، الحياة بكل ما فيها تنتظرك، لا تقولي هذا الكلام مرة أخرى أرجوكِ، لنغير الموضوع.. فلا أريد أن يكون آخر حديث بيننا عن الموت.

فصمت للحظات وأنا أتأمل المكان من حولي قائلة:

- هل كنت تراني من هنا؟

فضغط على زر لتفتح شاشة أمامه كبيرة تظهر الغرفة كلها ما عدا المرحاض، فضحكت قائلة:

= لم تكذب عليَّ.. لا يوجد كاميرات بالمرحاض.

فضحك بصوت خافت قائلًا:

= تمنيت أن أضع هناك أيضًا، ولكنني كنت متاكدًا من أنكِ ستسألينني، ولم أكذب عليكِ أبدًا.

- فقط لهذا السبب؟! ألا توجد هناك أخلاق تمنعك؟

فضحك وقال:

= بلى، للأسف هي أيضًا منعتني.

- من هؤلاء الذين بالغرفة؟

= إنهم فنيون، يعيدون ترميم ما خربتِه بالغرفة.

- كنت تريد أن تحرمني من أن أكون معك في مثل هذه اللحظات؟!

حرك رأسه ليلمس وجهي بوجنتيه وهمس لي:

= أحبك.. لا أريد شيئًا من هذه الحياة بعد هذه اللحظة، أشعر براحة تسكن جسدي وروحي.

- لم أكن أحبك من قبل، ولكن تلك الأيام التي عشتها كانت كفيلة بأن تولد لك حبًّا كبيرًا بداخلي حتى من قبل أن أراك، والآن أحبك أكثر؛ ليس عطفًا مني.. ولكن لأنني أشعر بذاك الحب الكبير الذي يسري في عروقك ليصل لعروقي، وكأن جسدنا واحد.

= هل تعلمين أن فصيلة دمنا واحدة؟!

- لا.

= هل تعلمين أنني أعسر مثلك؟!

- لا.

= هل تعلمين أننا ولدنا في نفس اليوم؟!

- نعم.

فضحكنا معًا.. ثم رفعت وجهي ونظرت في عينيه، كانت كبحرٍ صافٍ تتلاحق فيهما أمواج حبه لي، اقتربت أكثر منه لأشعر بلهيب أنفاسه؛ وكأن بداخله بركانًا ثائرًا. ولكن هناك شيء ما يمنعه من أن ينفجر، فضممت شفتيه بشفتي حتى شعرت بروحه تسري بداخلي وتلامس روحي.. لأول مرة أشعر بهذا الإحساس بداخلي.

ابتعدت قليلًا حتى يستطيع أن يتنفس جيدًا وقلت له:

- أحبك.. حتى آخر العمر.

= أحبك.. حتى يأتيني اليقين.

وضعت رأسي على جبينه مرة أخرى وأنا ممسكة بيده، فأغلق يده بشدة على يدي وكأنه يخشى أن أتركه.. حاولت أن أخفف من توترنا فقلت له:

- كيف كنت ترسل لي الطعام والهدايا؟ من كان يفعل كل هذا؟!

= ألا تعلمين أنني ثري عربي؟

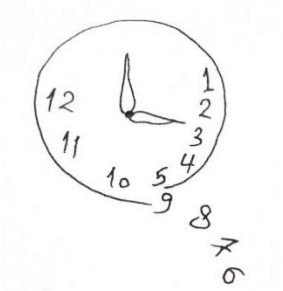

قالها مازحًا وهو يضغط على زر بيده الأخرى لتنقسم الشاشة لشاشتين، ويظهر صالة واسعة بها خمسة أفراد، ثم رفع بصره لينظر إليَّ قائلًا:

= ماذا تريدين؟

فكرت قليلا ثم قلت:

- أريد.. "سوشي".

فضحك قائلًا:

= كنت أتوقع أنك ستطلبينه منذ البداية كتعجيز لي، بالرغم من أنكِ لا تحبينه.

ثم ضغط على زر وقال "سوشي". ليتحرك الأفراد الخمسة بسرعة منظمة، وما هي إلا دقيقتان حتى وضع الطبق على طاولة ممتدة ليتم سحبه بسرعة ليخرج من درجٍ بالغرفة.

- لقد أرهقتهم معي بشدة.

= اطلبي أي شيء سألبيه لكِ على الفور.

- أريد حياة.

قلتها وبكيت حتى لامست دموعي وجهه.

= لا أريدك أن تتألمي بسببي، ارحلي يا كارين، لا تعيشي هذه اللحظات معي، ارحلي أنا من يطلب منكِ.

- لن أتركك مهما حدث.

وشددت بيدي على يديه بقوة.

لأول مرة نحكي ونحن نجلس بعضنا بجوار بعض، تحدثنا كثيرًا.. ولكن مع الوقت بدأت نبرة كريم تهدأ، وكأن الكلام يستنزف ما بقي من طاقته.. حتى ساد الصمت بيننا.. وترك يدي تفلت من يديه. ناديت عليه كثيرًا ولكن لم يجب.. كانت هناك بسمة على شفتيه، ولمعة تملؤ عينيه.

- لا، أنتَ لم تمت.. أنتَ ما زلت معي كريم.. قل شيئًا أرجوك، لا تقل شيئًا.. اضغط على يدي إذا كنت لا تستطيع أن تتكلم.

كان ينظر إليَّ وعيناه تقول لي أنا معكِ، ولكن كل شيء يشير إلى أنه ليس هنا. هذا الجهاز الذي أعلنت صفارته عن انتهاء حياته.. أنفاسه الساكنة.. نبض قلبه المتوقف.

- كريم، لقد وعدتني أن تظل معي.. لا تتركني وحيدة مرة أخرى.. قلت "سأحبك حتى يأتيك اليقين". لم أكن أعلم أن اليقين قريب منك للغاية.. لا.. أنت كذبت عليَّ.. قلت ستكون معي عشرة أيام، اليوم هو التاسع.. بقي لي يومٌ.. عده أرجوك.. اقضِ معي يومًا آخر.

نزعت تلك الأسلاك الموصلة بجسده؛ فلم يعد بحاجة إليها، ووضعت رأسي على صدره.. وقلت له: لن أبكي حتى لا تحزن، فأنت لا تحب أن ترى دموعي.. لن أبكي بعد اليوم حتى لا تؤلمك دموعي..

كنت أقول هذا ودموعي تنهمر.. أغمضت عينيّ وأنا أشعر بدفء جسده.. أتنفس رائحته.. تذكرت كل يوم رأيته فيه، تذكرت كل لحظة مر فيها بجواري وأدرت وجهي عنه حتى لا تجرحه نظرتي له، تذكرت وهو يحكي معي وأنا في الغرفة، وتخيلت كيف كانت ملامحه في كل كلمة يقولها، ضممته لي بقوة؛ خيل لي أنني يمكنني أن أمنحه جزءًا من روحي ليعود للحياة مرة أخرى، ولكن بلا فائدة.

سكنت واستسلمت للواقع المرير.. لا أدري كم من الوقت مر وأنا نائمة في حضنه هكذا، ولكنني كنت أشعر أنه يشعر بوجودي معه.

سمعت خطوات تقترب.. ولكنني لا أبالي أيًّا كان من قادم فليذهب للجحيم.

طرق الباب مرتين ثم دخل رجل أربعيني.. وقف للحظات أمامنا.. ثم اقترب مني ووضع يده على كتفي وربت عليه.. تمتم ببعض الكلمات التي تنم عن أسفه لما حدث، ولكنني ما زلت كما أنا لم أتحرك من حضنه.

- أرجوكِ يا بنيتي لا تصعبي الموقف أكثر من ذلك علينا، نحن جميعًا نشعر بالحزن والأسى لفراقه.

ثم دخل رجل آخر يبكي بحرقة، وبدا كأن الزمن أخذ منه سنوات كثيرة من تجاعيد وجهه وشعره الشائب، عرفت من بكائه أنه عم "شريف" بالتأكيد الذي كان يحكي عنه كريم، اقترب من الجهة الأخرى للسرير وانحنى ليقبل رأس كريم، فنظرت له وعيناي تفيض دمعًا.

- لا تبكِ يا عم شريف؛ فكريم لا يحب أن يرى دموع من يحبهم، هو أخبرني بذلك.. لا تبكِ أرجوك.

قلتها وأنا أجهش بالبكاء.

- انظر إليه يا عم شريف.. ألا ترى ابتسامته؟! إنه فقط نائم.. كريم ما زال حيًّا لكنه يريد أن يرتاح قليلًا.. هذه الأسلاك والأجهزة هي السبب في تعبه، لقد أخبرني أنها كانت تؤلمه كثيرًا..لقد نزعتها كلها عنه، هو الآن بخير؛ فقط سيرتاح قليلًا وسيستيقظ، إنه نائم.. أنا أسمع نبض قلبه.. صدقني.

اقترب الرجل الأول من كريم، وأمسك يده ليتحسس نبضه، ولكن هز رأسه نافيًا لكل ما أقول.. فجذبني عم شريف لحضنه وظل يبكي، ويقول: "كان يحبك يا كارين يحبك بشدة، لم يحب أحدًا سواكِ يومًا".

كان يبكي وأنا أخبره: "أنا أيضًا أحبه، وهو وعدني أنه سيظل معي، ولن يرحل أبدًا. هو لا يخلف وعده، لقد قال لي ذلك، أنتم لا تعلمون شيئًا، أشعر بروحه هنا حولنا؛ إنه معنا.. لا يريدنا أن نبكي.. لا تبكِ.. لا تبكِ ياعم شريف".

أكرر الجملة مرات ومرات وأنا أبكي، حتى شعرت بإبرة تخترق يدي لم أدرك بعدها أي شيء.

* * *

أن تجتمع كل المشاعر داخل قلبٍ صغيرٍ بداخلك مطالب منه أن ينبض بالرغم من كل ما يحمله من ألم..

مطالب منه أن يبقيك حيًّا وأنت تموت في اللحظة مائة مرة.. أن يؤدي وظيفته وسط جسد ثائر يرفض الحياة بكل ما فيها تلك هي القوة.. أو المعجزة التي يهبها الله لك.

اليوم العاشر

بعد الرحيل

أحيانًا يكون الرحيل لعالم آخر هبة منحها الله لنا لنحيا حياة أخرى.. حياة بلا ألم. ولا يعني أبدًا -على الأقل بالنسبة لي- أن موت من نحبهم هو اختفاؤهم بصورة كاملة من حياتنا؛ فهم معنا دومًا بطريقة ما، يشعرون بما نشعر به، روحهم تحيط بنا.

كان كريم يجلس بجواري.. يمرر يده بين خصلات شعري وهو يهمس لي: "ألم تعديني ألا تبكي؟! أنا الآن بخير... فقط الآن.. كنت أتعذب لأكثر من عشرين عامًا، الآن فقط شعرت بالراحة؛ لذا كوني سعيدة من أجلي ولا تبكي".

فنظرت لعينيه:

- لكنني سأشتاق إليك كثيرًا.

= كيف ذلك وأنا معك؟ ألم أعدك أن روحي ستظل معكِ؟ كوني قوية من أجلي.

- أعدك أن أكون قوية.

شعرت بيدٍ تمسك يدي.. ففتحت عيني لأجد عم "شريف" يجلس بجواري.

- هل أنتِ بخير؟ تبكين وأنتِ نائمة؟

- أين كريم؟ كان هنا.. كان يجلس بجواري ويتحدث معي الآن، أُقسم لك.

- إنه مجرد حلم يا صغيرتي.

- لا.. لا يا عم "شريف".. لم يكن حلمًا ما زلت أشم رائحته.. كان هنا.

ورفعت رأسي أتلفّت عليه.

- تشمين رائحته لأنك في غرفته، وبسريره، لقد انهرتِ تمامًا؛ فأعطاكِ الطبيب حقنة مهدئة، ونقلتك لغرفة كريم.

- وأين كريم؟ أريد أن أراه.

قلت هذا وأنا أحاول أن أنزل من السرير، ولكنني شعرت بدوار رهيب إثر حقنة المهدئ. فطلب مني عم "شريف" أن أهدأ قليلًا قائلًا:

- نحن نستعد لمراسم الدفن.

فصرخت به وأنا أتجه لباب الغرفة مسرعة:

- لا.. ليس قبل أن أراه مرة أخيرة.

فوقعت على الأرض غير متمالكة نفسي، ليسندني عم "شريف" ويأخذني للغرفة التي هو بها..

كنا في مكان آخر غير الذي كنا به، وكان يبدو كقصر كبير.

دخلت غرفة كبيرة لأجد كريمًا ممددًا على طاولة، لُف جسده في قماش أبيض مضيء من شدة بياضه.. فاقتربت منه ونظرت لابتسامته التي لم تتركه رغم الألم وقلت:

- كيف حالك كريم؟ اليوم هو اليوم العاشر، وقد وعدتني أن تحررني فيه، ولكنك أسرت قلبي وقيدتني بك حتى يأتيني اليقين.. وأنا كلي

يقين بأنك تسمعني وتشعر بوجودي مثلما أشعر بروحك التي تسري بداخلي.. لقد اعتدت أن تتحدث معي دون أن أراك.. لا تتوقف عن هذه العادة أرجوك.

أقول هذا لتتساقط دموعي على وجهه.. فمددت يدي لأمسحها برفق قائلة:

- لا.. لا أبكي، هذه السماء تمطر من فوقنا كما كنت تفعل معي لأستيقظ.. ألا تستيقظ من أجلي؟؟

جذبني عم "شريف " من يدي قائلًا وهو يبكي:

- كُفّي عن البكاء يا بنيتي.. هيا.. هيا من هنا لأعيدك لبيتك.

- هنا بيتي.. لن أتركه.. سأظل معه.. لن أرحل.

- بالفعل يا بنيتي هذا البيت ملكك، فقد كتب كريم كل شيء من أملاكه لك، ولكن لا بد من أن تهدئي، فلا بد من أن تتم مراسم الدفن.. "إكرام الميت دفنه".

- لا تقل هذا أمامه.. فما زالت روحه معنا.

ثم أكلمت وأنا أنظر له :

- إلى أين ستأخذونه؟!!

- إلى مقابر الأسرة بالطبع.

- هل هو أوصى بذلك؟

- لا يا بنيتي ولكن أين سيدفن؟! ليس هناك مكان آخر.

- هذا القصر ملكي؟

- كل شيء ملكك.. كل شيء يملكه تملكينه.

- إذن سيدفن هنا في حديقة هذا القصر.
- ولكن يا كارين؟ هذا غير مسموح به قانونيًّا.
- تبًّا للقانون.. كل شيء بالنقود يمكن إنهاؤه.. كريم لن يخرج من بيته.. سيدفن هنا.
- هل أنتِ واثقة من قرارك هذا؟!!
- كل الثقة يا عم شريف.. أرجوك افعل كل الإجراءات اللازمة لذلك.
- حاضر يا بنيتي.. أمرك.

ثم قلت :

- أريد الزهرة التي كانت على وسادة كريم.

أومأ رأسه بالإيجاب وهو يرحل.. وتركني وحدي مع كريم، أتطلع له ولعينيه المغلقتين فلم أشبع من النظر لهما، ولكنني اليوم سأكون قوية من أجلك.. سنتجاوز كل شيء معًا.

جاء أحدهم بالزهرة وأعطاها لي، فثبتها على صدره بين ثنايا القماش، هذا ما كان يريده.. كان يريد أن تدفن الزهرة معه، ووضعت قبلة على جبينه.

دخل أحد العاملين بالقصر وأعطاني صندوقًا قائلًا :

- أوصاني السيد كريم أن أعطيكِ هذا الصندوق بعد موته.

أخذت الصندوق لأفتحه وأجد به فستانًا أبيضَ وورقة كتب عليها: "لا تحزني.. فأنا معكِ".

فبكيت وأنا أقلب الورقة لأجد كلمة "ولا تبكي".

ليست كل النهايات دومًا سعيدة، ولكن دومًا ما تكون النهايات ما هي إلا بدايات جديدة. فالحياة سلسلة متتالية من البدايات التي لا نهاية لها.

أنين الحنين

طوال عمري كان هناك دومًا اعتقاد راسخ في ذهني أن لا أحد يموت، فقط ينتقل لعالم آخر غير عالمنا بطريقة ما، ولعل السبب هو رحيل أقرب الناس لقلبي.. فلم يقتنع عقلي بفكرة عدم وجودهم؛ وبرر هذا الرحيل بوجودهم في عالم آخر لا يمكننا رؤيتهم، ولكنهم يمكنهم الاتصال بنا من وقت لآخر.. في أحلامنا مثلًا.. في أشياء كانوا يحبونها.. تفنى أجسادهم ولكن تظل روحهم معنا دومًا.

مر أسبوعان على رحيل كريم لعالمه الآخر، ولكنه كان كريمًا معي مثل اسمه؛ فقد ترك لي رسائل في كل مكان بالقصر، رسائل تؤكد لي أنه ما زال ما زال معي.. فلم تكفِ عشرة أيام لإنهاء حديثنا معًا، وتلك الرسائل كانت تكفيني دهرًا من الزمن.

كنت أراه في كل حرف وكلمة.. أسمع نبرة صوته وأنا أقرأ رسائله لا صوتي.. عرفني كل شيء عنه، عمله.. وحياته.. من وثق بهم ومن اعتمد عليهم، كل ما يمكن أن أحتاجه من بيانات ومعلومات كان قد سجلها في أوراق بملف أخبرني عن مكانه .

زارني المحامي الخاص به لإنهاء بعض الإجراءات القانونية.. وطلبت منه أن نصف ما تركه من رصيد بالبنوك سنتبرع به للفقراء والمرضى، وبالرغم من اندهاشه لهذا القرار؛ إلا أنه لا يملك إلا أن ينفذ ما أطلبه منه.

❊ ❊ ❊

زرعت زهورًا بيدي حول قبره، الكثير من الزهور.. كنت أذهب لأجلس معه كل يوم، أحدثه عما فعلت في يومي، وأرد على رسالته التي قرأتها.. أخبره كم أفتقده، وأفتقد وجوده إلى جواري.. وكأنه لم يرحل؛ فقط تبدلت الأدوار.. أحدثه دون أن أراه كما كان يفعل معي.

وذات يوم وجدت أحد العاملين بالبيت يخبرني أن هناك من ينتظرني بالداخل، وحين دخلت وجدت أحمد واقفا مندهشًا مما حوله، ينظر إليَّ وفي عينيه ألف سؤال.. وقفت مكاني لا أدري ماذا أقول له؛ لا أستطيع التفكير، لم أشعر بأي شيء بداخلي حين رأيته؛ وكأن لم يكن بصدري قلب ينبض.

اقترب مني وضمني إليه بقوة فلم أمنعه، ولم أشعر به، ثم ابتعدت عنه قليلًا قائلة:

- كيف عرفت مكاني؟

فنظر لي وصمت قليلًا ثم أخذني من يدي لنجلس وقال:

- أنا أعلم كل ما مررتِ به.. لقد كلمني كريم قبل وفاته، وحكى لي كل شيء حدث معكما

واليوم مر بي عم "شريف " وأحضرني إلى هنا كما طلب منه كريم بالضبط، أن آتي إليك بعد مرور أسبوعين.. حتى تكوني هدأتِ.

- ولكن أنا...

- لا تقولي شيئًا أرجوكِ.. أنا أشعر بكل ما بداخلك، فقط أريد أن أطمئن عليكِ وأظل بجوارك حتى تكوني بخير.. بعدها القرار يعود لكِ.. ولكن لتعلمي فقط أنني ما زلت أحبك.. وتأكدي أن بعدك عني وغيابك غيرني كثيرًا.

كنت أشعر بروح كريم معي في نفس المكان، أسمع صوته وهو يقول لي: "أحمد يحبك.. كوني معه.. سأطمئن عليكِ معه". فنظرت لأحمد باكية؛ لم أستطع أن أتمالك تلك الدموع التي انهمرت، وكأن هناك فَيَضانًا بعينيّ، فضمني أحمد إليه وطلب مني أن نرحل من هنا، لأعيش معه ببيته أو ببيتي ولكنني رفضت قائلة :

_ لن أبرح هذا القصر ولو كان عشة فوق أحد الأسطح، لن أرحل من هنا حتى يأتيني اليقين.

أربعة أعوام مرّت وكأنها أربعة أيام.. تزوجت فيها أنا وأحمد..لم أرتدِ فستان زفاف؛ بل ارتديت ذاك الفستان الذي كان أعطاني إياه كريم في يوم عيد ميلادي، وما زالت النجمة معلقة على صدري، كلما نظرت إليها رأيت فيها عين كريم؛ لم يغب عن بالي يومًا.. وكان أحمد متقبلًا ومتفهمًا لحقيقة مشاعري.. ولكل ما مررت به، فلم يغضب مني يومًا.. كان كل يوم يثبت لي ثقة كريم به، ولكنه فضل أن يكمل عمله في شركة أبيه، وألا يتدخل في أعمال كريم إلا إذا طلبت منه أنا المساعدة.. أما عن ابننا كريم فكنت أخجل أن أخبره أنني أريد أن أطلق عليه اسم كريم، وما إن وضعت حتى قال لي هو: سنسميه "كريم".

❊ ❊ ❊

اعتدت كل يوم أن آخذ "كريم" الصغير لزيارة قبر كريم صباحًا. لم أفوت يومًا منذ لحظة رحيل كريم حتى الآن دون أن أزوره.

- كريم.. كريم أين أنت؟ سنتأخر عن العمل.

كان يجري كريم خلف القصر متجهًا للمبنى الخلفي الذي لم أدخله منذ آخر مرة خرجت منه، يوم رحيل كريم. جريت خلفه وأنا أناديه وهو لا يبالي بي، حتى دخل.. دفع الباب الخشبي ودخل المبني.

دخلت خلفه.. وما إن دخلت حتى شعرت بقشعريرة تسري بجسدي.. وفي لحظة مر بذاكرتي كل فصول السنة التي عشتها هنا.. تلك الضحكات التي كانت تخرج من القلب.. والدموع التي كانت تنهمر من القلب أيضًا.

ناديت ثانيةً على كريم الصغير، ولكن بداخلي كان قلبي ينادي على كريم حقًّا، وما إن اجتزت الممر حتى وقفت أمام باب الغرفة البيضاء، وكأن قدمي سمرت في الأرض.. لا أستطيع الحراك.. كنت أشعر بإنني إذا دخلت سأجد "كريم" فعلًا بالداخل.. كاد قلبي أن يتوقف عن النبض.. وأنا أنادي على كريم.

- اخرج حالًا من عندك.

فقال بصوته الصغير وكلماته التي لا يفهمها سواي:

- ماما انظري!!!

تقدمت ببطء وأنا أنظر داخل الغرفة، كان كل شيء كما تركته.. لم يتحرك أي شيء من مكانه، ولكن كانت شاشات الجدران تعرض كلها جملة واحدة.

"سأظل معكِ .. حتى يأتيكِ اليقين" .

شكر خاص لأولئك الأصدقاء الذين يساندونك من قلوبهم والذين بوجودهم نؤمن بأن الصداقة حق.

الصديقة المميزة خلود عبد الغفار

الصديق الكاتب محمد حسن

الصديقة الرسامة لمياء أحمد منير

الصديق النادر شريف عامر

لهم مني قدر العالم حبٌّ وودٌّ .